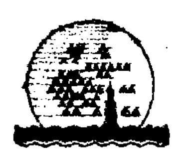
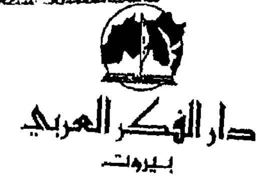
أروع ما قيل في الفخر

الدكتور يحيى شامي





دار الفكر العربي
بيروت

أروع ما قيل في الفخر



دار الفكر العربي

للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٨٦٠٧٤٣

المقدمة

الفخر أحد أبرز الأغراض الشعرية التي حفل بها الشعر العربي على امتداد عصوره، باستثناء عصرنا الحديث. وهو يضارع المدح لجهة كونه قائماً على الإشادة بفضائل النفس، وتعداد مآثرها ومناقبها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المدح يتوجه به الشاعر إلى شخص الممدوح الخارج عنه، في ما ينصب الفخر على امتداح الشاعر لنفسه، وتعظيمه صفاتها، وهذا ما يدعى بالفخر الذاتي.

وقد يتجاوز الفخر نطاق الذات ليفخر الشاعر بفضائل قومه، ويطري على أمجادهم، وهو الفخر الجماعي.

وقد يجمع الشاعر بين الفخرين فيكون الفخر ذاتياً وجماعياً، في آن، وهو في جميع أحواله ملتصق أشد الالتصاق بشخصية الشاعر، وتالياً هو نوع من التعبير عن الذات، ومظهر من مظاهر إعجاب الشاعر بنفسه، المفطورة على حب الظهور، والنزوع إلى التفوق والاقتدار.

وبواعث الفخر كثيرة منها الداخلي الصادر عن نفس كبيرة طموح، ومنها الخارجي، وهو الذي تثيره المكايد والعداوة والانتقاد.

ومعاني الفخر متعددة ومتنوعة، يغلب عليها الطابع التقليدي المعنوي، وإن كان أبرزها، إطلاقاً، الفخر بالشجاعة، والبطولة، وطيب المحتد، والشرف، والسؤدد، والكرم، والحلم، وحصافة الرأي، وشدة عارضة اللسن والفصاحة والبيان، وغير ذلك مما لا يمكن حصره. على أن السمة التي غلبت على الفخر في بعض عهوده، ولا سيما في العهد الجاهلي والإسلامي، كانت تلك التي طبعت الفخر بطابع الحماسة، وهي تتمثل بالتغني بالبطولة، والنجدة، والشجاعة، والإقدام والاندفاع، حتى أن أبا تمام، الشاعر العباسي، لما وضع كتابه الذي جمع فيه أفضل الشعر المتقدم، على اختلاف أغراضه، لم يؤثر عنواناً آخر له أفضل من عنوانه الموسوم بـ: ديوان الحماسة، أي الفخر البطولي الخلقي. هذا الفخر الذي يسمو بالنفس، إلى علٍ، ويحثها على التمسك بالقيم والمثل والأخلاق.

يستنتج من ذلك أن الفخر، وخلافاً لما قد يبادر إلى بعض الأذهان، ليس بالضرورة أن يكون ذلك الفخر الذي يعتوره السقام فهو خلو من الفضيلة، ويحمل طابع الغلو والاعتداد بالنفس والمباهاة، بل ثمة نوع آخر منه، وهو أفضله وأسماه،

عنيت الفخر الحماسي الذي يهذب النفس، ويهز الأريحية، ويذكي نار الحماس والقوة والشجاعة والإقدام.

ولقد غلب الفخر على سائر أغراض الشعر العربي الجاهلي انطلاقاً من غلبة النزعة الفردية والقبلية، ومن وحي الحروب التي عاشتها القبائل، ومن المنافرات والمناظرات، فكان الفخر بنوعيه الذاتي والجماعي، وذلك لأن الشاعر هو الناطق بلسان قومه، وهو المظهر لفضل القبيلة، المبينّ لمآثرها، الذائد عن شرفها. وما أكثر شعراء الفخر الذين حفل بهم العصر الجاهلي، وإن كان أبرزهم الأعشى، وطرفة، وعنترة، ولبيد، وعمرو بن كلثوم.

ولما أن جاء الإسلام تراجع الفخر قليلاً إلى الوراء، إلاّ ما حمل منه طابع الحديث عن القيم الخلقية والروحية بوحي من الدين الجديد، وما استعاد الفخر سابق مجده إلا في العصر الأموي، على أيدي شعراء الهجاء والنقائض، وعدد من شعراء الخوارج خاصة.

ومع إطلالة العصر العباسي ضعفت وتيرة الفخر الجماعي، وبرز نوع من الفخر الذاتي الوجداني ممثلاً بعدد من الشعراء الأفذاذ أمثال أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس، والشريف الرضي.

ونحن في هذا الكتاب الذي قسمناه إلى ثلاثة أقسام رئيسية

هي : الفخر الذاتي ، والفخر الجماعي ، والفخر المشترك، وددنا لو نشرك القارىء في أمر اختيارنا أفضل ما قيل في شعر الفخر بأنواعه الثلاثة، ومن هنا كان اسم الكتاب: أروع ما قيل في الفخر. فإن سرّ قارئنا العزيز ما اخترناه له منه فنعمّا ذلك، وإن ساءه، أو أضرّ بذوقه فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق، وسوء الاختيار. .

وإلى اللقاء مع غرض آخر من أغراض الشعر الغنائي العربي .

د. يحيى شامي

الفخر الذاتي

باعث بن صريم

(فلففتها بكتيبة أمثالها)

من الشعر الفخري الجيد، وفيه الاعتداد بالنفس، والتغني بالبطولة والإقدام، قول باعث بن صريم، الشاعر الجاهلي، وهو الذي ثأر لمقتل أخيه وائل، قتله بنو تميم، وكان مبعوثاً من قبل عمرو بن هند، ملك اللخميين، فحلف باعث أن يقتل منهم مقتلة عظيمة حتى يملأ دلواً من دمائهم. وهذا ما فعله. يقول باعث[1]:

سائِلْ أُسَيِّدَ هل ثأرتُ بوائلٍ
أم هل شفيتُ النفسَ مِنَ بَلْبالِها[2]

(١) ديوان الحماسة ١/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) أسيِّد، اسم قبيلة. وبلبالها: اهتمامها بطلب الثأر.

إنّي وَمَنْ سمكَ السماءَ مكانَها

والبدرَ ليلةَ نصفِها وهلالَها[1]

آليتُ أثقفُ منهمُ ذا لحيةٍ

أبداً فتنظرُ عينُه في مالِها[2]

وخمارِ غانيةٍ عقدتُ برأسِها

أُصُلاً وكانَ منشّراً بشمالِها[3]

وعقيلةٍ يسعى عليها قيِّمٌ

متغطرسٌ أبديْتُ عن خلخالِها[4]

وكتيبةٍ سُفْعِ الوجوهِ بواسلٍ

كالأُسْدِ حين تذبُّ عن أشبالِها[5]

قد قدتُ أوّلَ عنفوانِ رعيلِها

فلففْتُها بكتيبةٍ أمثالِها[6]

* * *

(١) سمك السماء: رفعها.

(٢) آليت: حلفت. وأثقف: أظفر. أي هو أقسم أن لا يدع ذا لحية من القوم، أي سيداً كريماً منهم، إلا قتله.

(٣) الغانية: الفتاة الحسناء. وهنا يبين أنه كم من فتاة سباها أول النهار وقد عقدت خمارها برأسها بعدما كان منشراً بشمالها لحيرتها وخوفها.

(٤) العقيلة: الكريمة من النساء. وهنا يبين كم من عقيلة أغار على حيها فشمرت ساقها هرباً فظهر خلخالها.

(٥) سفع الوجوه: سودها.

(٦) العنفوان: أول الشيء. والرعيل: الخيل. والكتيبة: الجيش.

(إن كنت عاذلتي فسيري)

ومن رائع الفخر فخر المنخل بن مسعود اليشكري، الشاعر الجاهلي الذي نادم النعمان بن المنذر، وهو يفخر بشجاعته وجوده. يقول المنخل[1]:

إنّ كـنـتِ عـاذلـتـي فـسـيـري
نـحـوَ الـعـراقِ ولا تـحـوري[2]
لا تـسـألـي عـنْ جُـلِّ مـالـي
وانْـظري كـرمـي وخِـيـري[3]
وفـوارسٍ كـأُوارِ حـرِّ الـنـارِ
أحـلاسِ الـذكـور[4]
شـدّوا دوابـرَ بَـيْـضِـهـم
فـي كـلِّ مـحـكـمـةِ الـقـتـيـر[5]

---

(١) ديوان الحماسة ١/٢٠٢ - ٢٠٦.

(٢) تحوري: ترجعي. وعاذلتي: لائمتي.

(٣) جل الشيء: معظمه. والخير: الكرم.

(٤) وفوارس، أي ربَّ فوارس. والأوار: اللظى. وأحلاس الذكور: ملازمون لظهور الخيل.

(٥) الدوابر: الأواخر. والبيض، جمع بيضة، وهي ما يوضع على الرأس، وتكون من حديد. والقتير: مسامير الدروع.

واستلأموا وتلبّبوا
إنَّ التّلبُّب للمغير[1]
وعلى الجيادِ المضمَّراتِ
فوارسٌ مثلِ الصّقور
أقررْتُ عيني مِن أولئك
والفوائحِ بالعبير[2]
وإذا الرياحُ تناوحتْ
بجوانبِ البيتِ الكسير[3]
ألفيتني هشَّ اليديْنِ بمْريِ
قِدحي أو شجيري[4]
ولقد شربتُ مِن المدامةِ
بالصّغيرِ وبالكبير[5]
فإذا انتشيْتُ فإنني
ربُّ الخورنقِ والسّدير[6]

---

(١) استلأموا: لبسوا اللأمات، أي الدروع. وتلببوا: لبسوا اللبب، أي الدروع.

(٢) الفوائح بالعبير، كناية عن النساء.

(٣) تناوحت: هبّت من كل ناحية. وهنا، كناية عن الجدب. والكسير: المكسور.

(٤) هش: خفيف. ومري: إجالة. والقدح: ما يضرب به عند الأصنام. وهنا كناية عن الجود.

(٥) المدامة: الخمرة.

(٦) الخورنق: قصر للنعمان بن المنذر. والسدير: اسم نهر ناحية الحيرة.

وإذا صحوْتُ فإنني
ربُّ الشُّوَيْهةِ والبعير

* * *

(جعلت لبان الجون للقوم غاية)

انتجع بنو ضبة أرض بني عامر بالشريف فطلبهم بنو عامر، فسار حسيل بن سجيح الضبي، الشاعر الجاهلي، في أخريات بني ضبة مانعاً بني عامر من النيل منهم وقال مفتخراً، وقد ذكر كل صنوف السلاح[1]:

لقد علمَ الحيُّ المصبَّح أنني
غداةَ لقينا بالشُّرَيْفِ الأحامسا[2]
جعلتُ لبانَ الجونِ للقومِ غايةً
مِنَ الطَّعنِ حتى آض أحمرَ وارسا[3]
وأرهبتُ أولى القومِ حتى تنهنهوا
كما ذدت يومَ الوردِ هِيماً خوامسا[4]

(١) ديوان الحماسة ١/٢٢١ - ٢٢٣.

(٢) الشريف: اسم ماء لبني نمير بنجد. والأحامس: المتحمسون في الدين، ويطلق على قريش خاصة، وأحلافها.

(٣) الجون: الفرس الأسود أو الأبيض. واللبان: الصدر. والورس: نبت أحمر، وآض: صار.

(٤) تنهنهوا: كفّوا ورجعوا. والهيم من الدواب. ما أصابها الهوام، وهو داء يصحبه العطش. والخوامس: العطاش.

بِمـطَّرِدٍ لـدْنٍ صحـاحٍ كعـوبُـه
وذي رونقٍ عَضْبٍ يقـدُّ القـوانسـا[١]

وبيضـاءَ مِن نسـجِ ابـنِ داودَ نثـرةٍ
تخيّـرتُها يـومَ اللقـاءِ المـلابسـا[٢]

وحِـرميّـةٍ منسـوبـةٍ وسـلاجـمٍ
خفافٍ ترى عن حدِّها السُّمَّ قـالسا[٣]

فمـازلتُ حتى جنّني الليـلُ عنهـمُ
أطـرّفُ عنّي فـارسـاً ثم فـارسـا[٤]

ولا يحمدُ القومُ الكرامُ أخاهم العتيـدَ
الـسـلاحِ عـنهـمُ أنْ يـمـارسـا[٥]

* * *

---

(١) المطرد: الرمح. واللدن: اللين. والكعاب والكعوب: ما يفصل بين عقدتي الرمح. ورونق السيف: ماؤه وحسنه. والقوانس: أعلى بيض الحديد. ويقد: يقطع. والعضب، صفة للسيف.

(٢) البيضاء، صفة للدرع. وابن داود، يراد به داود نفسه، النبي، وكان يصنع الدروع. والنثرة: المحكمة النسج.

(٣) الحرمية، صفة للقوس المتخذة من شجر الحرم. والسلاجم: الطوال من السهام.

(٤) أطرف: أدفع. وجنني الليل: حال بينهم وبيني.

(٥) العتيد: المعد السلاح.

(يعين نساء الحيّ ما يستعنّه)

ومن أروع الفخر، شعر عـروة بن الورد بن زيـد بن عمرو العبسي، وهو الشاعر الجاهلي المتقدم، وأحد أبرز الشعراء الفرسان من الصعاليك الأجواد، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم.

يقول عروة فاخراً بنجدته وشجاعته وخلقه[١]:

لحـا اللّهُ صعلوكـاً إذا جنَّ ليلُه
مُصافي المشاشِ آلفاً كلَّ مَجْزَر[٢]

يعـدُّ الغِنى مِن نفسِه كـلَّ ليلةٍ
أصابَ قِراها مِن صديقٍ ميسَّرِ[٣]

ينـامُ عشـاءً ثم يصبـحُ نـاعسـاً
يحتُّ الحصا عن جنبِه المتعفِّر[٤]

يُعيـنُ نسـاءَ الـحيِّ مـا يستعنَّـهُ
ويُمسي طليحاً كالبعيـرِ المحسَّر[٥]

(١) ديوان الحماسة ١/١٥٩ - ١٦١.

(٢) لحا: لعن. والصعلوك: الفقير. والمصافي: المختار الملازم. والمشاش: العظم الذي يمضغ. والمجزر: موضع نحر الإبل.

(٣) قراها: ضيافتها.

(٤) يحت: يفرك.

(٥) المحسر: المعيي، ومثله الطليح.

ولـكنَّ صعلوكـاً صـفيحـةُ وجهـهِ

كضـوْءِ شهـابِ القـابسِ المتنـوّر(١)

مُـطلاًّ عـلى أعـدائِـه يـزجـرونـه

بسـاحتِهم زجـرَ المنيـحِ المشهّـر(٢)

إذا بـعـدوا لا يـأمنـون اقـترابَـه

تشـوُّفَ أهـلِ الغـائبِ المتنـظّر(٣)

لـذلـك إنْ يـلقَ المـنيّـةَ يـلقَـهـا

حميـداً وإنْ يَستغنِ يـومـاً فـأجـدر

* * *

(وكفيت جانيها اللّتيا والتي)

لسلمى بن ربيعـة، من بني السيد بن ضبـة، الشـاعـر الجاهلي، والذي فارقته زوجته واسمها تماضر، عاتبة عليه في استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب، له أبيات فخرية رائعة يشيد فيها بمحله في الفضل، والعطاء في اليسر والعسر،

---

(١) القابس: طالب النار. والمتنور: طالب النار من بعيد.

(٢) المنيح: قدح من قداح الميسر، ولا حظ له من الربح.

(٣) تشوف: تطلع. أي أن أعداء الصعلوك يخافونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون عودته تماماً كما يفعل أهل الغائب المترقب رجوعه.

وفي رأب صدع العشيرة وإصلاح ذات البين. يقول سلمى[1]:

زعمتْ تماضرُ أنّني إمّا أمتْ
يسددْ أُبَيْنُوها الأصاغرُ خلّتي[2]

تربتْ يداكِ وهل رأيتِ لِقومهِ
مثلي على يسري وحينَ تعلّتي[3]

رجلاً إذا ما النائباتُ غشينْه
أكفى لمعضلةٍ وإنْ هي جلّتِ[4]

ومناخَ نازلةٍ كفيتُ وفارسٍ
نهلتْ قناتي مِن مطاهُ وعلّت[5]

وإذا العذارى بالدّخانِ تقنّعتْ
واستعجلتْ نصبَ القدورِ فملّت[6]

دارتْ بأرزاقِ العفاةِ مغالقٌ
بيديَّ مِن قمعِ العشارِ الجلّة[7]

---

(١) ديوان الحماسة ١/٢١٢ - ٢١٤.

(٢) أمّا أمت: أصلها: إن أمت. وما: زائدة. والأبنيون: تصغير الإبناء. والخلة: الحاجة.

(٣) تربت: أي صار فيها التراب. للتوبيخ. والتعلة: العسر.

(٤) جلّت: عظمت.

(٥) مناخ مصدر أناخ. والنازلة: الداهية. والنهل: الريّ والامتلاء. والمطا: الظهر.

(٦) ملّت: عملت الملّة، وأدخلت الشيء في الملة، وهي الجمر.

(٧) العفاة، جمع عاف وهو السائل الرزق. والمغالق، جمع مغلق، وهو سهم=

ولقـد رأبتُ ثـأى العشيـرةِ بينَهـا
وكـفيـتُ جـانيـهَـا الـلّتيّـا والـتي[1]
وصفحتُ عن ذي جهلِهـا ورفـدتُهـا
نُصحي ولم تـصبِ الـعشيـرةَ زلّتـي
وكـفيـتُ مـولايَ الأحمَّ جـريـرتـي
وحبسـتُ سـائمـتي عـلى ذي الخـلّة[2]

* * *

(ولكن كل صعلوك ضروب)

ومن جيد الفخر الذاتي ما قاله أحد أشهر صعاليك العرب، وهو السليك بن السلكة، والسلكة أمّه، وكانت سوداء حبشية. أما السليك فيعد من أغربة العرب، واسم أبيه عمير السعدي. يقـول السليك مفتخـراً بنفسـه، مشيـداً ببـطولتـه، وبـإبـائـه الضيم[3]:

= الميسر. والقمع؛ جمع قمعة وهي رأس السنام. والعشار، جمع عشراء وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر.

(١) الرأب: الإصلاح. والثأى: الفساد، واللتيا، تصغير التي، وهما اسمان لما صغر وكبر من الدواهي.

(٢) المولى: ابن العم. والأحمّ: القريب. والجريرة: الجناية. والسائمة: المال الراعي. والخلة: الحاجة.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/٣١٠.

ألا عتبتْ عليَّ فصارمتْني
وأعجبهَا ذَوُو الّلممِ الطّوالِ[1]
فإني يا ابْنةَ الأقوامِ أربى
على فعلِ الوضيِّ من الرجال[2]
فلا تصلي بصعلوكٍ نؤومٍ
إذا أمسى يُعدُّ مِنَ العبال[3]
ولكنْ كلّ صعلوكٍ ضروبٍ
بِنصلِ السيفِ هاماتِ الرجال[4]
أشاب الرأسَ أنّي كلَّ يومٍ
أرى لي خالةً وسْطَ الرحال[5]
يشقُّ عليَّ أن يلقيْنَ ضِيْماً
ويعجزُ عن تخلصِهنَّ مالي

* * *

---

(١) صارمتني: هجرتني. وذوو اللمم، أي الجمم، وهي مقدم شعر الرأس.

(٢) الوضيّ: الجميل.

(٣) لا تصلي، أي لا تتصلي. والصعلوك: الذي لا مال له. ونؤوم، كناية عن البلادة والكسل. والعبال، جمع عبل، وهو الضخم من كل شيء.

(٤) هامات الرجال: رؤوسهم.

(٥) الخالة وسط الرحال، إشارة منه إلى أنه كان يتوجع لخالاته لأنهن كنّ إماءً.

(وللجنّ منه شكله وشمائله)

ومن رائع شعر الفخر الذاتي، وألصقه بالوجدان، ذاك الشعر المنسوب إلى عبيد بن أيوب العنبري، وقيل هو لأحد لصوص بني سعد؛ وفي كلا الحالين فإن هذا الشعر ليدخل في صميم الشعر المنسوب إلى الصعاليك، لجهة الحديث عن الذات المتوحدة المتوحشة، والتغني بالبطولة الفائقة. يقول الشاعر[1]:

فإني وتركي الإنسَ مِن بعدِ حُبِّهم
وصبريَ عمّنْ كنتُ ما إنْ أزايلُهْ[2]

لكالصّقرِ جلّى بعدَ مَا صادَ فتيةً
قديراً ومشويّاً عبيطاً خرادله[3]

أهابوا به فازدادَ بعداً وصدَّهُ
عنِ القربِ منهمْ ضوءُ برقٍ ووابله[4]

ألم ترني صاحبْتُ صفراءَ نبعةً
لها ربديٌّ لم تُفلّلْ معابله[5]

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٠٠.

(٢) أزايله: أفارقه، وإن، زائدة للتأكيد.

(٣) خرادله، جمع خردل، وهي القِطع، وعبيطاً: كأن به بلهاً وجنوناً.

(٤) أهابوا به: دعوه.

(٥) النبعة، نوع من الشجر الصلب تتخذ منه القسيّ. والمعابل، جمع معبلة، =

وطـاتل احْتضـاني السيفَ حتى كأنمـا
يُـلاطُ بكشحي جفنُـه وحـمـائله[1]
أخـو فلواتٍ صـاحَبَ الجِنَّ وانتحى
عنِ الإنسِ حتى قـد تقضَّتْ وسـائله
لـه نـسبُ الإنـسيِّ يُـعـرف نـجـرهُ
ولِـلجنِّ مـنـه شـكْلُه وشـمـائـله[2]

* * *

(إذا سدّ منه منخر جاش منخر)

هو أحد أبرز الشعراء الصعاليك المشهورين في الجاهلية، عرف بفتكه وشجاعته، واسمه في الأصل، ثابت، وكنيته أبو زهير، ولقبه تأبط شرا، لقبته به أمه يوم أن تأبط سكيناً وخرج، فلما سئلت عنه قالت: لا أدري، إنه تأبط شراً. والمهم أن الشاعر له في الفخر والحماسة والاعتداد بالنفس شعر يروق، وهو من أروع الفخر في الشعر العربي. ومن هذا الشعر ما قاله

= وهي السهم الخفيف. والربذي، نسبة إلى ربذ، وهو وتر القوس الشديد الحركة عند الاندفاع.

(١) الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع. ويلاط: يلصق. وجفن السيف: بيته الذي يوضع فيه. وحمائل السيف: ما يعلق به.

(٢) نجره: أصله وحسبه، والشمائل: الصفات.

يوم أن حاول قوم من بني لحيان، من هذيل، أن يأسروه فما استطاعوا إليه سبيلاً، فقال[1]:

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدَّ جِدُّهُ
أضاعَ وقاسى أمرَه وهُو مدبرُ[2]

ولكنْ أخو الحزمِ الذي ليس نازلاً
بهِ الخطبُ إلاّ وهْو لِلقصدِ مبصر[3]

فذاكَ قريعُ الدهرِ ما عاشَ حُوَّلٌ
إذا سُدَّ منه منخرٌ جاشَ منخر[4]

أقولُ لِلحيانٍ وقد صفرتْ لهم
وِطابي ويومي ضيِّقُ الحجرِ معور[5]

هما خطّتا إما إسارٌ ومِنّةٌ
وإمّا دمٌ والقتلُ بالحرِّ أجدر[6]

---

(١) ديوان الحماسة ١/١٧ ـ ١٨.

(٢) يريد أن يقول إنه إذا نزل به مكروه ولم يجد ناصراً له فسبيله أن يحتال له.

(٣) الخطب: الأمر الشديد. وصاحب الحزم هو الذي يستعد للخطب قبل نزوله.

(٤) القريع: المجرب للأمور. والحوّل: البصير بها. وقوله: إذا سد منه منخر جاش منخر، كناية عن قدرته على الخلاص من الشدة.

(٥) لحيان: بطن من هذيل. وصفرت: خلت. والوطاب: أسقية اللبن، ومفردها وطب. وهنا إشارة إلى وطب العسل الذي صبّه على الصخر ووضع نفسه عليه، فنجا من القوم.

(٦) الإسار: الأسر. ومعنى ذلك أن ثمة أمرين إما الأسر والتزام المنة، وإما القتل، وهو المراد.

وأخرى أصادي النفسَ عنها وإنها
لَموردُ حزمٍ إنْ فعلتُ ومصدر[1]
فرشْتُ لها صدري فزلّ عن الصّفا
به جؤجؤٌ عبلٌ ومتنٌ مخصّر[2]
فخالط سهلَ الأرضِ لم يكدحِ الصفا
به كدحةً والموتُ خزيانُ ينظر
فأبْتُ إلى فهمٍ ولم أكُ آيباً
وكم مثلِها فارقتُها وهْي تصفر[3]

* * *

(يرى الوحشة الأنس الأنيس)

ومن أروع فخر تأبط شرا، وهو يعتبر من عيون شعر الصعلكة والفتك، قوله[4]:

وإني لَمُهدٍ مِن ثنائي فقاصدٌ
بهِ لابْنِ عمِّ الصّدق شمس بنِ مالكِ[5]

---

(١) أصادي: أداري.

(٢) الجؤجؤ: الصدر. والعبل: الضخم. والمخصّر: الدقيق. والمتن: الظهر.

(٣) فهم، اسم قبيلة، وتصفر، كناية عن الأسف.

(٤) ديوان الحماسة ١/٢٢ - ٢٣.

(٥) شمس بن مالك، ابن عم الشاعر.

أهـزُّ بـه في نـدوةِ الحيّ عِـطفَـه
كمـا هزَّ عـطفي بـالهجـانِ الأوارك[1]
قـليـلُ التـشكّـي لِلمُـهِمِّ يُـصيـبُـه
كثيـرُ الهوى شتّى النّـوى والمسـالـك
يـظلُّ بِمَـوْمـاةٍ ويُمسي بـغيـرِهـا
جحيشاً ويَعْرَوْري ظهـورَ المهالـك[2]
ويسبقُ وفـدَ الـريـحِ مِن حيثُ ينتحي
بـمنـخـرقٍ مِن شـدِّه الـمتـدارك[3]
إذا حـاصَ عينيْه كـرى النّـوم لم يـزل
لـه كالىءٌ مِن قلبِ شيحـانَ فاتـك[4]
ويـجـعـلُ عـينـيْـه ربيئـةَ قـلبـهِ
إلى سلّةٍ مِن حـدِّ أخلقَ صـائـك[5]

---

(١) العطف: الجانب. وندوة الحي: مجتمعه. والهجان: الإبل الكريمة. والأوارك، التي ترعى الأراك، الشجر المعروف الذي يتخذ منه السّواك.
(٢) الموماة: الأرض الخالية من الماء والشجر. والجحيش: المتوحش المنفرد. ويعروري: يرتكب المهالك. وهنا يصور الشاعر تفرده وكثرة تجواله في الآفاق، بحماسة وجراءة.
(٣) وفد الريح: أولها. وينتحي: يقصد. والمنخرق: الواسع والمتسارع.
(٤) حاص: خاط. والكرى: النوم الخفيف. والشيحان: الحازم والفاتك: الذي يفتك بالآخرين فجأة.
(٥) الربيئة: الرقيب. والسلة، الواحدة من سلّ السيف، أي تجريده: والأخلق: الأملس. والصائك: القاطع.

إذا هـزّه فـي عـظمِ قِـرْنٍ تـهـلّلتْ
نـواجـذُ أفـواهِ المنـايـا الضّـواحـك[1]
يـرى الوحشـةَ الأنسَ الأنيسَ ويهتدي
بحيثُ اهتدتْ أمُّ النجومِ الشوابك[2]

* * *

عنترة (ت حوالي ٦١٥ م)

(ولقد أبيت على الطوى)

ومن جيـد الفخر وأشهـره فخـر عنتـرة العبسي، الشـاعـر الجـاهلي المعروف، وأحـد أصحاب المعلقـات، بشجاعتـه وخلقه، ونجدته وسرعة إقدامه. فلقد انهزمت بنو عبس أمام بني تميم، وسيدهم يومئذ قيس بن زهير، فانبرى عنترة يحامي عن الناس فلم يصب منهم مدبر. فقال قيس: والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء ـ أي عنترة ـ ولقد أشار عنترة إلى هذه الواقعة فقال مفتخراً[3]:

إنـي امـرؤٌ مِن خيـرِ عبسٍ مـنصبـاً
شـطري وأحمي سائـري بالمُنْصُـل[4]

(١) القرن: البطل الشجاع. والنواجذ: الأسنان.
(٢) أم النجوم، كناية عن الشمس، أو المجرّة. ومعنى ذلك أنه يأنس بالوحدة ويهتدي إلى مقصده كما النجوم.
(٣) ديوان عنترة ص ٥٧ ـ ٥٨ دار بيروت ـ دار صادر بيروت ١٩٦٦ م.
(٤) المنصل: السيف.

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظلّه
حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ[1]
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظتْ
ألفيتُ خيراً مِن مُعِمٍّ مُخْولِ[2]
والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني
فرّقْتُ جمعهمُ بِطعنةِ فيصلِ[3]
بكرتْ تخوّفُني الحتوفَ كأنني
أصبحتُ عن غرضِ الحتوفِ بمعزلِ[4]
فأجبتها: إنَّ المنيّةَ منهلٌ
لا بدَّ أنْ أُسقى بكأسِ المنهلِ
فاقْني حياءَكِ لا أباً لكِ واعلمي
أني امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتلِ[5]
إن المنيةَ لو تمثّلُ مُثّلت
مثلي إذا نزلوا بضنكِ المنزلِ[6]

---

(١) الطوى: الجوع.
(٢) المعم: المنسوب إلى العم. والمخول: من يتباهى بخاله. والكتيبة: القطعة من العسكر.
(٣) الفيصل: السيف.
(٤) الحتوف: المنايا، جمع حتف.
(٥) اقني: وفري.
(٦) ضنك المنزل، شدته، كناية عن العسر والهول.

والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما

تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظل[1]

وإذا حُملتُ على الكريهةِ لم أقلْ

بعدَ الكريهةِ ليتني لم أفعل [2]

* * *

(ليس الكريم على القنا بمحرّم)

ومن جيد فخر عنترة وأروعه، ذلك الفخر البطولي الذي تضمنته معلقته المشهورة، وهو زاخر بالفروسية والبطولة والشجاعة وأسمى الأخلاق والمناقب والفضائل. يقول عنترة مخاطباً عبلة، حبيبته[3]:

أثني عليّ بما علمت فإنني

سمح مخالطتي إذا لم أظلم[4]

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل

مرّ مذاقته كطعم العلقم

فإذا شربت فإنّني مستهلك

مالي وعرضي وافر لم يكلم

---

(١) الحنظل، نبات شديد المرورة.

(٢) الكريهة: صفة للحرب.

(٣) المعلقات العشر ص ١٤٦ - ١٥٧.

(٤) المخالطة: المعاشرة.

وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرّمي
وحليل غانية تركت مجدّلاً
تمكو فريسته كشدق الأعلم[1]
سبقت يداي له بعاجل طعنه
ورشاش نافذة كلون العندم[2]
هلّا سألت الخيل يا ابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
ومدجّج كره الكماة نزاله
لا ممعن هرباً ولا مستسلم
جادت له كفيّ بعاجل طعنة
بمثّقف صدق الكعوب مقوّم[3]
فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرّم

(١) الحليل: الزوج. والغانية: المرأة الشابة الجميلة. وتمكو: تصفر. والأعلم: صفة للجمل المشقوق الشفة العليا.
(٢) العندم: نبت أحمر اللون.
(٣) المثقف، صفة للرمح. والمقوم: المستقيم.

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمّم[1]

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم[2]

ما زلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدّم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

* * *

أبو كبير الهذلي

(فأتت به حوش الفؤاد مبطناً)

أبو كبير الهذلي، واسمه عامر بن حليس، شاعر من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم، وله في الفخر قطع رائعة منها هذه الأبيات التي يفتخر فيها بشجاعته ومروءته ونجدته.

ويقال إن سبب هذه الأبيات أنه كان تزوج أم تأبط شرا، الشاعر الصعلوك المشهور، وكان هذا لا يزال صغيراً، فتنكر

---

(١) يتذامرون: يدعو بعضهم بعضاً للقتال.

(٢) الأشطان: الحبال. والأدهم، صفة للفرس الأسود. واللبان: الصدر.

لأبي كبير لما رآه يكثر الدخول على أمه، فارتاب أبو كبير للأمر، ولم يأمن الولد على نفسه فاحتال عليه، بأمر من أمه حتى يقتله فوجهه للغزو، فقصد ناراً وعليها رجلان من لصوص العرب، فقتلهما تأبط شرا، وأخذ خبزهما، فخاف أبو كبير منه، فخلف أن لا يقرب أم هذا الغلام الصعلوك، فقال هذه الأبيات، وهي التالية[1]:

ولقد سريت على الظلامِ بِمِغْشمٍ
جلدٍ مِنَ الْفتيانِ غيرِ مثقّلِ[2]
مِمَّنْ حملْنَ به وهنَّ عواقد
حُبُك النطاق فشبَّ غيرَ مهبّلِ[3]
ومبرّىءٍ من كلِّ غبرّ حيضةٍ
وفسادِ مرضعةٍ وداءٍ مُغْيلِ[4]
حملتْ به في ليلةٍ مزؤودةٍ
كَرْهاً وعقدُ نطاقِها لم يحللِ[5]

---

(١) ديوان الحماسة ١/١٩ ـ ٢١.

(٢) المغشم: الذي يمضي في الأمر على غير نظر. والجلد: الصبور.

(٣) حبك النطاق: طرائق النساء وملابسهن، والمهبّل، من الهبل، وهو فقد الأم لولدها.

(٤) معنى ذلك أن أمه حملت به وهي طاهرة من الفساد والحيض.

(٥) معنى ذلك أن الولد جاء نجيباً. والمزؤودة، من الزأد، وهو الفزع.

فـأتـتْ بــه حــوشَ الفـؤادِ مبـطّنــاً

سَهُـداً إذا مـا نـام ليـلُ الهــوجـل[1]

مــا إنْ يــحسُّ الأرضَ إلا مـنــكـبٌ

منــه وحـرفُ الســاقِ طيَّ المحمــل

وإذا رمـيـتَ بــه الـفـجـاجَ رأيــتــه

يهـوي مخـارمهــا هُـوِيَّ الأجــدل[2]

وإذا نــظرتَ إلــى أســرَّةِ وجــهــهِ

بــرقتْ كبــرقِ العــارضِ المتهلّل[3]

صعبُ الكــريهــةِ لا يُــرامُ جنــابُــه

مـاضي العزيمـةِ كالحسـامِ المقصـل

يحمِي الصعــابَ إذا تكـونُ عــظيمـةً

وإذا همُ نــزلــوا فمـأوى الـعُيَّــل[4]

* * *

---

(١) حوش الفؤاد: ذكي الفؤاد. مبطناً: خميص البطن. والسهد: النائم. والهوجل: الثقيل.

(٢) الأجدل: الصقر. والمخارم: منقطعات الجبال. ومعنى ذلك أنه صاحب همة في الأمور الصعبة.

(٣) أسرة وجهه: خطوطه.

(٤) العيل: جمع عائل، وهو الفقير. وهنا يصفه بالشجاعة.

(ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى)

ومن أروع الفخر وجيده فخر جابر بن الثعلب الطائي. وشعره يقرب من شعر الصعاليك، وهو لا يخلو من رنّة ألم، وخلقٍ، وحكمة، ومن نزوع إلى المثال. يقول جابر[1]:

وقامَ إليَّ العاذلاتُ يَلُمْنَني
يقلْنَ ألا تنفكُّ ترحلُ مَرْحَلا[2]

فإنَّ الفتى ذا الحزمِ رامٍ بنفسِه
جواشنَ هذا الليلِ كي يتموّلا[3]

ومنْ يفتقرْ في قومِه يحمدِ الْغنى
وإنْ كان فيهم واسطَ العمِّ مُخْولا[4]

ويُزري بعقلِ المرءِ قلّةُ مالِهِ
وإنْ كان أسرى مِن رجالٍ وأحولا[5]

كأنّ الفتى لم يعرَ يوماً إذا اكتسى
ولم يكُ صُعلوكاً إذا ما تموّلا

(١) ديوان الحماسة ١/١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) أي إنهن ينكرن عليه كثرة ارتحاله وتجواله في البلاد.

(٣) جواشن، جمع جوشن، وهو الصدر والأول من الشيء.

(٤) واسط العم: كريمه. ومثله المخول، فهو كريم الخال.

(٥) أسرى: أشرف. والأحول: الأكثر حيلة.

ولـم يـكُ في بـؤسٍ إذا بـاتَ ليـلةً
يناغي غـزالاً فـاتـرَ الـطَّرَفِ أكحـلا

إذا جـانبٌ أعيـاكَ فـاعْمـدْ لجـانبٍ
فـإنّـك لاقٍ فـي بـلادٍ مـعـوّلا[1]

***

عمرو بن معديكرب (ت حوالي ٢٠ هـ/ ٦٤٣ م)

(ظللت كأني للرماح دريئة)

ومن أروع الفخر ما قاله عمـرو بن معديكـرب الزبيـدي، الشاعر الجاهلي والإسلامي، من المخضرمين، والمقدمين في الشدة والسؤدد والفروسية. ولقد دافع عن المسلمين، وشهد الكثير من الوقائع والحروب، يقول عمرو مفتخراً[2]:

ولـمّـا رأيتُ الـخيـلَ زُوراً كـأنّـهـا
جـداولُ زرعٍ أُرسلتْ فـاسْبـطرَّتِ[3]

فـجـاشـتْ إليَّ الـنـفْسُ أولَ مـرّةٍ
فـرُدّتْ على مكـروهِهـا فـاستقـرّتِ[4]

---

(١) المعول: ما يعوّل عليه ويوكل الأمر إليه.
(٢) ديوان الحماسة ١/٤٤ ـ ٤٥.
(٣) اسبطرت: امتدت. والزور، جمع زوراء، وهي المائلة.
(٤) جاشت: اضطربت من الفزع.

عــلامَ تقـولُ الــرمحُ يُثقــلُ عـاتقي
إذا أنــا لم أطعنْ إذا الخيــلُ كــرّت
لحــا اللّهُ جــرمــاً كلّمــا ذرَّ شــارقٌ
وجـوهَ كـلابٍ هـارشتْ فـازْبـأرّت [1]
فلم تُغنِ جــرمٌ نهــدَهــا إذْ تــلاقتــا
ولكنَّ جـرمـاً في اللقـاءِ ابْـذعـرّت [2]
ظــلِلْتُ كــأنّــي لــلرمــاحِ دريئــةٌ
أقــاتـلُ عن أبنــاءِ جــرمٍ وفــرّت [3]
فلو أنَّ قــومي أنــطقــتْني رمــاحُهــم
نــطقْتُ ولكــنَّ الــرمــاحَ أجــرّتِ [4]

* * *

(وبقيت مثل السيف بردا)

ومن جيد فخر عمرو، أيضاً، ما قاله في اليوم الذي جرى بين قومه وأحلافهم من جرم، من جهة، وبين بني الحرث بن

---

(١) لحا: قبح ولعن. وذرّ: طلع. والشارق: الشمس. وجرم: اسم قبيلة. وازبأرت: تهيأت للقتال.

(٢) نهدها، أي قبيلة نهد. وابذعرت: تفرقت.

(٣) دريئة: عرضة.

(٤) أجرت: شقت لسان الفصيل لئلا يرضع ثدي أمه الناقة. ومعنى البيت أنهم لو أبلوا في الحرب بلاء حسناً لمدحهم وذكر بلاءهم.

كعب وحليفتها نهد، من جهة ثانية، يقول عمرو مفتخراً بمناقبه وشجاعته، وبنفسه العاشقة البطلة[1]:

ليس الجمـــالُ بمئـزرٍ فــاعْلمْ وإنْ رُدّيتَ بُــردا
إنَّ الجمـــالَ معــادنٌ ومنــاقـبُ أورثْن مـجـدا
أعـددتُ للحـدثـانِ سـابغـةً وعـدّاءً عَلَنْـدِى[2]
نهـداً وذا شـطبٍ يقـدُّ البيضَ والأبـدانَ قـدّا[3]
وعلمتُ أني يـومَ ذاك مُنـازلٌ كعبـاً ونهــدا[4]
قـومٌ إذا لبسوا الحـديـدَ تنمّـروا حلقـاً وقـدّا[5]
لمـا رأيتُ نسـاءَنـا يفحصْن بـالمعـزاءِ شـدّا[6]
وبـدتْ لميسُ كـأنهـا بـدرُ السمـاءِ إذا تبـدّى
نـازلْتُ كبشَهمُ ولم أر مِن نزالِ الكبشِ بـدّا[7]
هم ينــذرون دمي وأنـذرُ إنْ لقيتُ بـأنْ أشـدّا

---

(١) ديوان الحماسة ١/٥٠ - ٥٢.

(٢) الحدثان: حوادث الدهر. والسابغة: الدرع الواسعة. والعداء: الفرس السريع. والعلندى: الشديد.

(٣) نهد: ضخم. والشطب: طرائق السيف. والقد: القطع طولاً. والبيض، ما يوضع على الرأس من الحديد.

(٤) كعب ونهد، قبيلتان.

(٥) تنمروا: صاروا كالنمور. والحلق: الدروع. والقد: الدرع. وهنا يعظم من شأن الخصم تعظيماً لشأنه.

(٦) المعزاة: الأرض الصلبة.

(٧) الكبش: السيد والرئيس.

كم مِن أخٍ لي صالحٍ بوّأته بيديَّ لحدا[1]
ما إنْ جزعتُ ولا هلِعْتُ ولا يردُّ بكاي زندا[2]
ألبستُه أثوابَه وخُلقتُ يومَ خلقت جَلْدا[3]
أغني غَناءَ الذاهبين أعدُّ للأعداءِ عدّا[4]
ذهبَ الذين أحبُّهم وبقيتُ مثلَ السيفِ فردا

ومن جيد فخر عمرو بن معديكرب، أيضاً، قوله:

ولقد أجمعُ رجليَّ بها
حذرَ الموتِ وإني لَفرور
ولقد أعطفُها كارهةً
حينَ للنفسِ منَ الموتِ هرير
كلُّ ما ذلك مني خُلُقٌ
وبكلٍّ أنا في الرَّوْعِ جدير[5]

* * *

(١) بوأته: أنزلته. واللحد: جانب القبر.

(٢) هلعت: جزعت كثيراً.

(٣) جلداً: قوياً شديداً.

(٤) الغناء: النفع.

(٥) ديوان الحماسة ٥٢/١. والروع: اللقاء في الحرب. والهرير: الصوت القوي. وأعطفها: أميلها. والفرور: الذي يفرّ ثم يكرّ على الأعداء.

(فدعوا نزالِ فكنت أول نازل)

عمّر ربيعة بن مقروم، وهو الشاعر الجاهلي، حتى أدرك الإسلام فشهد جلولاء أيام عمر بن الخطاب، ويعد ربيعة من الشعراء والفرسان المشار إليهم في مضر، وكانت عبد القيس قد أسرته، ثم أطلقت سراحه ومنّت عليه بعد ذلك، فقال من جيد الفخر وأروعه[1]:

ولقد شهدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها
بِسليمِ أوظفةِ القوائمِ هيكلِ[2]
فدعَوْا نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ
وعلامَ أركبُه إذا لم أنزل[3]
وألدَّ ذي حنقٍ عليَّ كأنّما
تَغلي عداوةُ صدرِه في مِرجل[4]

---

(١) ديوان الحماسة ١/١٤.

(٢) هيكل: كبير ضخم، وهو صفة للفرس. والأوظفة: جميع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها. وهنا يصور لنا كيف أن فرسه سليم معافى من العيوب.

(٣) نزال: اسم فعل، ومعناه: إنزلْ.

(٤) المرجل: القدر الكبيرة. والألد: الشديد الخصومة. والحنق: الغيظ.

أرجيْتُـه عنّي فـأبصـرَ قـصـدَه

وكـويتُـه فـوقَ النـواظـرِ مِن عـلِ[1]

* * *

(بمثلي فاشهد النجوى)

ولربيعة من الفخر الجيد، أيضاً، قوله[2]:

وكـنـتُ إذا قـريـنـي جـاذبـتْـهُ

حبـالي مـاتَ أو تبـعَ الجِـذابـا[3]

فـإنْ أهـلكْ فـذي حـنـقٍ لـظاهُ

علـيَّ تـكـادُ تـلتـهـبُ التـهـابـا[4]

مـخـضْـتُ بـدلـوهِ حتى تـحسّى

ذَنـوبَ الشّـرِّ مـلأى أو قُـرابـا[5]

بِمثلي فـاشْهـد النّجـوى وعـالـنْ

بـيَ الأعـداءَ والـقـومَ الـغـضـابـا

---

(١) أرجيته: أخرته وصرفته.

(٢) ديوان الحماسة ١/٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) أي إن حباله محكمة القوى يجاذب بها خصمه فيموت قبل الوصول إليه.

(٤) الحنق: الغضب. وذي حنق، أي: رُبَّ ذي حنق.

(٥) مخضت: حركت. والتحسي: الشرب شيئاً فشيئاً. والذنوب: الدلو. والمعنى أن خصمه أراد به الشر فسقاه منه.

فـإنّ الـمُـوعِـديَّ يـروْنَ دونـي
أسـودَ خـفـيّـةَ الـغُـلْبَ الـرّقـابـا
كـأنَّ عـلـى سـواعـدِهـنَّ ورْسـاً
عـلا لـونَ الأشـاجـعِ أو خـضـابـا[1]

* * *

حطّان بن المعلّى

(فليس لي مال سوى عرضي)

ومن جيد الفخر، وأصدقه، وآلمه معاً، فخر حطان بن المعلى الشاعر الإسلامي بالحفاظ على خلقه وعرضه، رغم الفقر والإملاق. يقول حطان[2]:

أنـزلـنـي الـدهـرُ عـلى حـكـمـهِ
مَن شـامـخٍ عـالٍ إلى خَـفْـضِ[3]
وغـالـنـي الـدهـرُ بـوفـرِ الـغـنـى
فـليس لي مـالٌ سـوى عـرضـي[4]

---

(١) خفية، اسم مكان تكثر فيه الأسود. والغلب: الغلاظ الرقاب. والأشاجع: عروق ظاهر الكف.
(٢) ديوان الحماسة ١/١٠٠ ـ ١٠٢.
(٣) الخفض، خلاف العالي، كناية عن الضعف.
(٤) غالني: أصابني وأهلكني.

أبكانيَ الدهرُ ويا ربّما
أضحكني الدهرُ بما يُرضي
لولا بنيّاتٌ كزُغبِ القطا
رُددْنَ مِن بعضٍ إلى بعض[1]
لكان لي مضطربٌ واسع
في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرض[2]
وإنما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشي على الأرض
لو هبّتِ الريحُ على بعضِهمْ
لامْتنعتْ عيني مِنَ الْغمض

* * *

حاتم الطائي (ت ٤٦ هـ/ ٦٦٨ م)

(جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها)

عرف حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، وأحد فرسان العرب وأجوادهم المعدودين الذين ذكروا بالكرم ومدحوا بالسخاء والجود، وبه

(١) بينات: تصغير بنات. والزغب: لين الشعر وأصغره، كناية عن صغر سنّهن.

(٢) المضطرب: الاضطراب والتنقل.

يضرب المثل. حاتم هذا قال من جيد الفخر بالكرم والندى والسخاء[1]:

إذا ما بخيلُ الناسِ هرّتْ كلابُه
وشقَّ على الضّيفِ الغريبِ عقورُها[2]
فإنّي جبانُ الكلبِ بيتي موطّأٌ
جوادٌ إذا ما النفسُ شحَّ ضميرها[3]
ولكنْ كلابي قد أقرّتْ وعُودّتْ
قليلٌ على مَن يعتريها هريرها

* * *

عوف بن الأبرص

(إذا خمد النيران لاح بشيرها)

وقريب من المعنى السابق، وفي جودته وروعته ما قاله عوف بن الأبرص مفتخراً بكرمه وبناره التي لا تطفأ يشبّها للضيفان[4]:

ومستنبحٍ يخشى العداةَ ودونه
مِن الليلِ بابا ظلمة وستورُها[5]

(١) الحيوان ١/٢١١.

(٢) هرّت: نبحت. وشق: عسر وصعب. وعقورها: المؤذي منها.

(٣) موطأ: مرتاد. وشح: قلّ.

(٤) الحيوان ٥/٢١٥.

(٥) المستنبح: من يحرض الكلاب على النباح ليعرف منازل القوم.

رفعتُ لـه نـاراً فلمـا اهتـدى بهـا
زجـرتُ كـلابي أنْ يهـرَّ عقـورُهـا[1]
فـلا تسـأليني واسـألي عن خليقتي
إذا ردَّ مـا في القدرِ مَن يستعيـرهـا[2]
تـريْ أنَّ قِـدري لا تـزالُ كـأنـهـا
لِـذي الغرثِ المقـرورِ أمّ يـزورهـا[3]
مـبـرّزة لا يُجـعـل السـتـرُ دونَـهـا
إذا خَـمـد النيـرانُ لاحَ بشيـرهـا
إذا الشّـولُ راحت ثم لم يفـدْ لحمها
بـألبـانِهـا ذاقَ السّنـانَ عقيـرهـا[4]

* * *

(بضرب الطلا والهام حق عليم)

ومن الفخر الرائع ما قاله عبد العزيز بن زرارة الكلبي، الشاعر الإسلامي، وهو يفخر بنفسه وكرمه وشجاعته، وفخره لا

---

(١) زجرت: دفعت. والعقور: أشدها بأساً.

(٢) الخليقة: الطبع.

(٣) الغرث: الجائع. والمقرور: البردان.

(٤) الشول: النوق.

يخلو من نصفة وواقعية. يقول ابن زرارة[1]:

وإلّا أكنْ مما علمتِ فإنني
إلى نسبٍ مما جهلتِ كريمِ
وإلا أكنْ كلَّ الجوادِ فإنني
على الزادِ في الظلماء غيرُ شتيم[2]
وإلّا أكنْ كلَّ الشجاعِ فإنني
بضربِ الطُّلا والهامِ حقُّ عليم[3]

* * *

أبو النشناش

(ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)

ومن أروع الفخر، وأغناه بالحكمة، وأزخره بالعاطفة الصادقة فخر أبي النشناش، وهو شاعر إسلامي، ولصّ صعلوك من صعاليك بني تميم، في زمن الأمويين، يقول أبو النشناش مفتخراً[4]:

---

(١) ديوان الحماسة ١/٩٩.
(٢) شتيم، أي مشتوم. ويبين هنا أنه يهش للضيف فهو لا يسبّ ولا يشتم. والظلماء، كناية عن الجدب والفقر والحاجة.
(٣) الهام: الرؤوس، جمع هامة. والطلا: الأعناق.
(٤) ديوان الحماسة ١/١١٥ - ١١٧.

إذا المرءُ لم يسرحْ سَواماً ولم يُرِحْ
سواماً ولم تعطفْ عليه أقاربُهْ[1]
فَلَلموتُ خيرٌ للفتى مِن قعودِهِ
عديماً ومِن مولى تدبُّ عقاربه[2]
ونائيةِ الأرجاءِ طامسةِ الصُّوى
خَدَتْ بأبي النشناشِ فيها ركائبه[3]
ليكسبَ مجداً أو ليدركَ مغنماً
جزيلاً وهذا الدهرُ جمٌّ عجائبه
وسائلةٍ بالغيبِ عنّي وسائلٍ
ومَنْ يسألُ الصعلوكَ أينَ مذاهبه
فلم أرَ مثلَ الفقرِ ضاجعه الفتى
ولا كَسوادِ الليلِ أخفقَ طالبه
فعِشْ معدماً أو متْ كريماً فإنني
أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربه
ولو كان حيٌّ ناجياً مِن منيّةٍ
لكان أثيراً حينَ جَدَّتْ ركائبه[4]

(١) يسرح: يذهب صباحاً. والسؤام: الماشية. ويرح: يعد مساء.
(٢) تدب عقاربه، كناية عن السعي في الأذى. والعديم: الفقير.
(٣) الصوى: الأعلام. وخدت: أسرعت. والركائب: الرواحل، وما يركب. والنائية، صفة للمفازة القفر.
(٤) جدت ركائبه: أسرعت. والمعنى واضح في أن الصعلوك الذي يطلب=

(ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا)

ومن أروع الفخر وأشده حماسة، ما قاله سعد بن ناشب التسيمي، الشاعر الإسلامي، وكان أصاب دماً فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة ثم أحرقها، فقال هذه الأبيات الحماسية الرائعة[1]:

سأغسلُ عنّي العارَ بالسيفِ جالباً
عليَّ قضاءَ اللَّهِ ما كانَ جالبا[2]
وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمهَا
لعِرضيَ مِن باقي المذَمَّةِ حاجبا[3]
ويصغرُ في عيني تِلادي إذا انْثنتْ
يميني بإدراكِ الذي كنتُ طالبا[4]
فإن تهدموا بالغدرِ داري فإنّها
تراثُ كريمٍ لا يُبالي العواقبا

= المجد، ويسعى إليه في الليل هو أجدر بذلك.

(١) ديوان الحماسة ١/١٥ - ١٦. وانظر: زهر الآداب ١/٢١٣.

(٢) العار: العيب والسوء.

(٣) أذهل عن داري: أتركها. والمذلة: الذم والعيب.

(٤) التلاد: المال القديم المتوارث.

أخي غمـراتٍ لا يـريـدُ على الـذي
يهمُّ بـه مِن مفـظعِ الأمـرِ صـاحبـا[1]
إذا هـمَّ لم تُـردعْ عـزيـمـةُ هـمِّـهِ
ولم يـأتِ ما يـأتي مِن الأمرِ هـائبـا[2]
فـيـا لَـرِزامٍ رشّحـوا بـي مقـدّمـا
إلى المـوتِ خوّاضـاً إليه الكتـائبـا[3]
إذا هـمَّ ألقـى بيـنَ عيـنيْـهِ عــزمـه
ونكّبَ عن ذكـرِ العـواقبِ جـانبـا[4]
ولم يستشـرْ في رأيـهِ غيـرَ نـفسـهِ
ولـم يـرض إلاّ قـائمَ السيفِ صـاحبـا

* * *

الطرمّاح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(بفيض إلى كل امرىء غير طائل)

يعتبـر الطرمـاح من ألمع شعـراء الخوارج وأفصحهم في العصر الإسلامي، وهو الطرماح بن حكيم، والذي ينتهي نسبه

(١) الغمرات: الشدائد.
(٢) تردع: تزدجر. وهائباً: خائفاً.
(٣) رزام: حي من تميم، نسبوا إلى جدهم رزام بن مالك بن حنظلة. واللام في (رزام) للاستغاثة.
(٤) نكب: انحرف.

إلى طيء، القبيلة العربية المعروفة، ومن جيد فخر الطرماح قوله[1]:

لـقــد زادني حـبّـاً لِـنـفـسـيَ أنّـنـي
بغيضٌ إلى كـلِّ امـرئٍ غيـر طـائـلِ
وأنــي شـقــيٌّ بــالـلّـئـامِ ولا تــرى
شقيّـاً بهم إلاّ كـريمَ الشمـائـل[2]
إذا مـا رآنـي قـطّعَ الـطّرفَ بينَـه
وبينيَ فعـلَ العـارفِ المتجـاهـل
مـلأتُ عليـه الأرضَ حتى كـأنّهـا
مِن الضّيقِ في عينيْه كِفّـةُ حـابـل[3]
أكـلُّ امْـرىءٍ ألـفى أبـاه مقـصّـراً
معـادٍ لأهـلِ المكـرمـاتِ الأوائـل
إذا ذُكـرتْ مسعـاةُ والـدِه اضْـطنى
ولا يضطني مِن شتمِ أهلِ الفضائل[4]

---

(١) ديوان الحماسة ١/٧٦ - ٧٧.

(٢) الشمائل: الطبائع والصفات الحميدة.

(٣) كفة الحابل: الحفرة التي تنصب فيها الحبالة، فهي كالطوق. والحابل: صاحب الحبالة.

(٤) المسعاة: السعي. واضطنى، تعب وضعف.

وما مُـنـعـتْ دارٌ ولا عـزَّ أهـلُهـا
مِن النـاسِ إلاّ بـالقنـا والقنـابـل[1]

* * *

(ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم)

ومـن أروع الفخر، وأجزله عبارة، وأصدقه عاطفة ما قاله ابن حبنـاء، وهو من غـلاة الخوارج، وأحـد أتباع نـافـع بن الأزرق؛ يقول مخاطباً أم عاصم، ومفتخراً بشجاعتـه وثباتـه واندفاعه المفرط في سبيل ما يؤمن به ويعتقده[2]:

دعـي اللومَ إنّ الـعيشَ لـيسَ بـدائمِ
ولا تعجلي بـاللّومِ يـا أمَّ عـاصمِ
فـإنْ عجلتْ منكِ المـلامـةُ فـاسمعي
مـقـالـةَ معـنـيّ بِـحـقّـكِ عـالـم
ولا تـعـذلينـا في الـهـديّـةِ إنّمـا
تكـونُ الهـدايا مِن فُضـولِ المغـانم
فـليسَ بِمُـهـدٍ مَـن يـكـونُ نـهـارُه
جِـلاداً ويُمسي ليـلُه غيـرَ نـائـم[3]

(١) القنابل: جماعات الخيل، والواحدة قنبلة.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٩٩.

(٣) أي أن يقول إنه يمسي هو في ليله، ويكون هو في نهاره، لكنه جعل الفعل=

يـريـدُ ثــوابَ اللّهِ يــومــاً بــطعنــةٍ
غموسٍ كشدق العنبـريِّ بنِ سالم(١)
أبـيتُ وســربــالـي دِلاصٌ حصـينــةٌ
ومِغفُـرهـا والسيفُ فـوقَ الحيـازم(٢)
حـلفتُ بـربِّ الـواقـفـينَ عـشيّـةً
لـدى عــرفــاتٍ حـلفــةً غـيــرَ آثـم
لقــد كـان في القــومِ الـذين لقيتُهم
بسـابـورَ شغــلٌ عن بـروزِ اللطائم(٣)
تــوقَّــدُ فــي أيــديهــمِ زاعـبــيّــةٌ
ومـرهفـةٌ تفــري شؤونَ الجمـاجم(٤)

* * *

= للّيل والنهار، على السّعة والمجاز.

(١) الغموس: الواسعة. والشدق: الفم. والعنبري بن سالم، رجل من القوم كان يقال له الأشدق.

(٢) الدلاص: الدرع. والمغفر، أيضاً، الدرع. والحيازم: جمع حيزوم، وهو الصدر.

(٣) سابور، اسم مدينة بفارس، قريبة من اصطخر. وسابور، أيضاً، اسم موضع بالبحرين. واللطائم، جمع لطيمة، وهي الإبل التي تحمل البزّ والعطر.

(٤) زاعبية، نسبة إلى زاعب، اسم رجل من الخزرج كان يعمل الرماح. وتفري: تقدّ.

(الخيل والليل والبيداء تعرفني)

أبو الطيب المتنبي، شاعر الحكمة والمدح والفخر بلا منازع في العصر العباسي، بل في كل عصر. ولقد تعرض المتنبي في بلاط سيف الدولة الحمداني للحسد والدسائس، مما أغاظه وكدر عليه صفو عيشه، وهو الشاعر الكبير المتعالي، فقال هذه الأبيات التي تعتبر من أروع شعر الفخر قاطبة، ومن أشهره على الإطلاق[1]:

سيعلمُ الجمعُ ممّنْ ضمَّ مجلسُنا
بأنّني خيرُ مَن تسعى به قدمُ
أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعتْ كلماتي مَن بهِ صمم
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها
ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصم[2]
وجاهلٍ مدَّه في جهلهِ ضحكي
حتى أتتْه يدٌ فرّاسةٌ وفم

(١) ديوان أبي الطيب ص ٣٣٠، طبعة دمشق ١٩٦٠ م.
(٢) شواردها، أي شوارد القوافي.

ومهجــةٍ مهجتي مِن همّ صــاحبِهــا
أدركــتُــهــا بــجــوادٍ ظــهــرُه حــرم
رجلاه في الركضِ رجـلٌ واليدان يـدٌ
وفـعلُه مــا تــريــدُ الـكفُّ والـقــدم
ومــرهفٍ ســرْتُ بينَ الجحفليْنِ بــه
حتى ضـربت ومـوجُ المــوتِ يلتـطم
الخيــلُ والليــلُ والبـيــداءُ تعــرفُني
والسيفُ والـرمحُ والقــرطـاسُ والقلم
صحبتُ في الفلواتِ الــوحشَ منفرداً
حتى تعجّـبَ منـي الغُــورُ والأكـم[1]
كـم تــطلبــونَ لنــا عيبــاً فيعجــزكم
ويـكــرهُ اللّهُ مــا تــأتــون والـكــرم
مــا أبعدَ العيبَ والنقصـانَ عن شـرفي
أنــا الثّـريّــا وذانِ الشيبُ والهــرم[2]

* * *

(فلا تقنع بما دون النجوم)

ومن جيد فخر أبي الطيّب قوله[3]:

---

(١) الغور: الأراضي الواطئة المنخفضة. والأكم، ما ارتفع منها.
(٢) الثريا: نجم معروف وهو مجموعة من الكواكب الصغار.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

إذا غـامـرتَ فـي شـرفٍ مـروم
فـلا تـقـنـعْ بـمـا دونَ الـنـجـومِ
فـطعـمُ المـوتِ في أمـرٍ حـقـيـرٍ
كـطعـمِ المـوتِ في أمـرٍ عـظيم

* * *

(فما المجد إلا السيف والفتكة البكر)

ومنه أيضاً[1]:

ولا تـحسبَنَّ المجـدَ زقًّـا وقـيـنـةً
فمـا المجدُ إلا السيفُ والفتكـةُ البكرُ
وتقـطيـعُ أعنـاقِ الملوكِ وأنْ تُـرى
لـك الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجـر

ومنه أيضاً[2]:

وإنـي لمـنْ قـومٍ كـأنَّ نـفـوسَـهـم
بهـا أَنفٌ أنْ تسكنَ اللمَ والعـظمـا

ومنه أيضاً[3]:

وآنـفُ مِـن أخـي لأبـي وأمـي
إذا مـا لـم أجـدْه مـن الـكـرامِ

---

(١) نفسه ص ١١٤، والزق: وعاء الخمر، والمجر: الكثير العدد.
(٢) نفسه ص ٢١٠.
(٣) نفسه ص ٢١٧.

(كشعرة في مفرقي)

ومنه، ما قاله في الصغر[1]:

أيَّ محلٍ أرتقي
أيَّ عظيمٍ أتقي
وكلُّ ما قد خلقَ اللّهُ
وما لم يُخلقِ
محتقرٌ في همّتي
كشعرةٍ في مفرقي

ومنه كذلك[2]:

إن أكنْ معجباً فعجبُ عجيبٍ
لم يجدْ فوقَ نفسهِ مِن مزيدِ

* * *

(تركنا لأطراف القنا كل شهوة)

ومنه[3]:

وغيرُ فؤادي للغواني رميّةٌ
وغيرُ بناني للزجاجِ ركابُ

---

(١) نفسه ص ١٩٠.

(٢) نفسه ص ٨٩.

(٣) نفسه ص ٣٧. والغواني: الحسان.

تـركْنـا لأطـرافِ القنـا كـلَّ شهـوةٍ
فـليس لـنـا إلا بـهـنَّ لـعـاب

* * *

(غريب كصالح في ثمود)

ومنه (١):

مـفـرشي صهـوةُ الحـصـانِ ولكـنَّ
قـمـيـصـي مـسـرودةٌ مِـن حـديـدِ
مـا مـقـامـي بـأرضِ نـخـلةَ إلا
كـمقـامِ الـمسـيـحِ بيـنَ اليـهـود
أنـا فـي أمّـةٍ تـداركـهـا الـلّهُ
غـريـبٌ كـصـالـحٍ فـي ثـمـود

* * *

أبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م)

(صبور ولو لم تبق مني بقية)

الشاعر هو أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني، الأمير والقائد، وأحد أبرز شعراء العصر العباسي، عرف بوجدانياته و «رومياته» وهي القصائد التي كان يبعث بها إلى ابن عمه

---

(١) نفسه ص ٧٠. ونخلة، قرية في بلاد الشام.

سيف الدولة، من مكان أسره في بلاد الروم، وهي تفيض رقة وعاطفة، ولا تخلو من مواقف فخرية كان يعدد فيها الشاعر مناقبه ومآتيه وفضائله. ومن هذا الشعر الفخري الرائع الممزوج بالألم والعتاب، قوله:[1]

إذا الخِلُّ لم يهجرْكَ إلّا ملالةً
فليسَ له إلّا الفراقُ عتابُ
إذا لم أجدْ في بلدةٍ ما أريدُه
فعندي لأخرى عَزْمةٌ وركاب[2]
وليس فراقٌ ما استطعتْ فإنْ يكنْ
فراقٌ على حالٍ فليس إياب[3]
صبورٌ ولو لم تبق مني بقيّةٌ
قؤولٌ ولو أنَّ السيوفَ جواب
وقورٌ وأحداثُ الزمانِ تنوشُني
وللموتِ حولي جيئةٌ وذهاب[4]
بمنْ يثقُ الإنسانُ في ما ينوبُه
ومِن أينَ للحرّ الكريمِ صحاب[5]

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٢٥. طبعة دار البيان. دمشق.

(٢) الركاب: ما يركب من الدواب. والعزامة: القوة والصبر والجد.

(٣) الإياب: الرجوع والنكوص.

(٤) وقور: ذو وقار وحزم. وتنوشني: تطلبني.

(٥) ينوبه: يصيبه بمكارهه.

تغـابيْتُ عن قـومي فـظنّوا غبـاوتي
بمفـرقِ أغبـانـا حصىً وتـراب[1]
ولـو عـرفـوني بعضَ معـرفتي بهمْ
إذاً عـلمـوا أنّي شـهـدْتُ وغـابـوا
أنـا الـجـارُ لا زادي بـطيءٌ عليـهمُ
ولا دونَ مـالي في الحـوادث بـاب[2]
ولا أطـلبُ العـوراءَ مـنهـم أصيبُهـا
ولا عَـوْرتـي للطالـبيـن تُـصـاب[3]

* * *

أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٨ م)

(ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل)

ومن عيون شعر الفخر وأجوده وأروعه قصيدة أبي العـلاء المعري اللامية. أما أبو العلاء فهو الشاعر العباسي المشهور، شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء، صاحب «رسالة الغفران»

---

(١) تغابيت: تغافلت.
(٢) أي أنا الجار الكريم الذي لا يضع حداً للبذل والعطاء، ولم يوصد بابه في وجه قومه في الشدائد.
(٣) العوراء: العيب، ويريد أن يقول إنه يرى عيوبهم من غير أن يطلبها، وهم عاجزون عن التقاط عيب فيه.

و «لزوم ما لا يلزم» و «سقط الزّند». ولد بالمعرة، وما لبث أن فقد نعمة البصر، فنقم على الناس، واتسم شعره بالمرارة والثورة والتشاؤم. ومع ذلك فلا نعدم أن نجد في شعره لمعاً من الشعر الفخري الحافل بضروب المعاني الفريدة، حيث النفس الضخمة الشريفة المتطلعة إلى الدنيا من علٍ، لما فيها من فضائل، ولما في الناس من قبح وصغار. يقول أبو العلاء مفتخراً[1]:

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ
عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ[2]
أعِندي وقد مارسْتُ كلَّ خفيّةٍ
يُصدّقُ واشٍ أو يُخيّبُ سائل
تُعدُّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً
ولا ذنبَ لي إلاّ العلى والفواضل[3]
وقد سارَ ذكري في البلادِ فَمَنْ لهم
بإخفاءِ شمسٍ ضوؤُها متكامل
يهمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ
ويثقلُ رَضْوى دونَ ما أنا حامل[4]

---

(١) سقط الزند ص ٥٧ ـ ٥٩.

(٢) النائل: العطاء.

(٣) الفواضل، جمع فاضلة، وهي الدرجة الرفيعة من الفضل.

(٤) رضوى: اسم جبل.

وإنـي وإنْ كـنـتُ الأخـيـرَ زمـانُـه

لآتٍ بـمـا لم تـسـتـطعْـه الأوائـل

وأغــدو ولــو أنَّ الـصـبـاحَ صـوارمٌ

وأسـري ولـو أنَّ الـظلامَ جحـافـل[1]

وإنـي جــوادٌ لـم يـحـلَّ لـجـامُـه

ونِضْـوٌ يمـانٍ أغفلتْـه الصيـاقـل[2]

وإنْ كـان في لبس الفتى شـرفٌ لـه

فمـا السيفُ إلّا غمـدُه والحمـائـل

ولي منـطق لم يرض لي كُنْهَ منزلي

على أنني بينَ السّـمـاكيْـنِ نـازل[3]

ولمـا رأيتُ الجهلَ في النـاسِ فاشيـاً

تـجـاهلتُ حتى ظُـنَّ أنّيَ جـاهـل

فـواعجبـاً كم يـدّعي الفضـلَ نـاقصٌ

ووا أسفـاً كم يُـظهـرُ النقصَ فـاضـل

---

(١) جحافل، جمع جحفل، وهو الجيش الكثير العدد. والصوارم، جمع صارم، وهو السيف.

(٢) النضو: السهم الذي رمي به حتى بليَ وفسد. والصياقل، جمع صيقل، وهو الذي يشحذ السيوف ويجلوها.

(٣) السماكان: نجمان معروفان في السماء.

ينـافسُ يـومي فِـيَّ أمسـي تشـرّفـاً
وتحسـدُ أسحـاري عليَّ الأصـائـل[1]
وطـال اعتـرافي بـالـزمـانِ وصـرفِـه
فلستُ أبـالي مَن تغـولُ الغـوائـل[2]
فلو بـانَ عَضْـدي مـا تـأسّفَ منكبي
ولـو مـات زنـدي مـا بكتْـه الأنـامـل
فـإنْ كنتَ تبغي العِـزَّ فَـابْـغِ تـوسّـطاً
فعنـدَ التنـاهي يقـصـرُ المتـطاول
تُـوقّـى البـدورُ النّقصَ وَهْـي أهِـلّةٌ
ويـدركُهـا النقصـانُ وهي كـوامـل

* * *

(هي الأيام لا تعطي قياداً)

ومن جيد فخر أبي العلاء قوله[3]:

أرى الـعـنـقـاءَ تـكـبـرُ أنْ تُـصـادا
فـعـانـدْ مَن تـطيـقُ لـه عـنـادا[4]

---

(١) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت الذي يسبق غروب الشمس.
(٢) تغول: تهلك. والغوائل، جمع غائلة، وهي المهلكة.
(٣) ديوان سقط الزند ص ٦٠ ـ ٦٤.
(٤) العنقاء: طائر ضخم أسطوري.

وما نهنهْتُ عن طلبٍ ولكنْ
هي الأيامُ لا تُعطي قيادا[1]
ليَ الشّرفُ الذي يطأُ الثُّريا
مع الفضلِ الذي بهرَ العبادا
وكم عينٍ تُؤمّلُ أنْ تراني
وتفقدُ عندَ رؤيتي السوادا
أفلُّ نوائبَ الأيامِ وحدي
إذا جمعتْ كتائبُها احتشادا[2]
ولي نفسٌ تحلُّ بي الرّوابي
وتأبى أنْ تحلَّ بيَ الوهادا
تُمدُّ لتقبضَ القمريْنِ كفّاً
وتحمل كي تبذَّ النجمَ زادا[3]
ولو أني حُبيتُ الخلدَ فرداً
لما أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلتْ عليَّ ولا بأرضي
سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا
* * *

---

(١) نهنهت: منعت وكفيت.

(٢) أفل: أبدر وأقطع. ونوائب الأيام: صروفها وأحداثها.

(٣) تبذ: تنافس.

الفخر الجماعي

الفند الزِّمّاني

(صفحنا عن بني ذهل)

ومن جيد شعر الفخر ما قاله الفند، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي، الشاعر الجاهلي، والفارس الذي شهد حرب بكر وتغلب، وهي التي تعرف بحرب البسوس. يقول الفند مفتخراً بقومه الأشداء، بني حنيفة[1]:

صفحْنا عنْ بني ذُهْلٍ
وقلنا القومُ إخوانُ[2]
عسى الأيامُ أنْ يَرجعن
قوماً كالذي كانوا

(١) ديوان الحماسة ١/٦ - ٧.

(٢) بنو ذهل، قوم من العرب، وفي رواية (عن بني هند) وهي هند بنت مرّ، أخت تميم.

فلما صرَّحَ الشَّرُّ
فأمسى وهو عُريان[1]

ولم يبق سوى العدوانِ
دِنّاهمْ كما دانوا[2]

مشيْنا مِشيةَ اللّيثِ
غَدَوْا والليثُ غضبان[3]

بِضربٍ فيه توهينٌ
وتخضيعٌ وإقران[4]

وطعنٍ كَفَمِ الزِّقِّ
غذا والزِّقُّ ملآن[5]

وبعضُ الحلمِ عند الجهلِ
للذِّلّةِ إذعان[6]

وفي الشر نجاةٌ حينَ
لا يُنجيكَ إحسان

---

(١) صرح: انكشف. وعريان، كناية عن ظهور الشر ووضوحه.

(٢) دنّاهم: ألزمناهم بدينهم، وقهرناهم.

(٣) غدوا: بكروا. وغضبان، كناية عن الجوع. والليث أشد ما يكون عند الجوع.

(٤) التوهين: التضعيف والتذليل. والإقران: الاسترخاء والتتابع.

(٥) الزق: وعاء الخمر.

(٦) الإذعان: الانقياد. والحلم، خلاف الجهل، وهو العقل والصفح.

(ذوو جدّ إذا لبس الحديد)

وممن افتخر بقومه، بلاغتهم وشجاعتهم، حيان بن ربيعة الطائي، الشاعر الجاهلي المتقدم. يقول حيان

لقد علمَ القبائلُ أنَّ قومي
ذَوُو جدٍّ إذ لُبسَ الحديدُ
وأنا نِعمَ أحلاسُ القوافي
إذا استعر التنافرُ والنشيد
وأنا نَضربُ الملحاءَ حتى
تُولّي والسيوفُ لنا شهود[1]

* * *

(ليوث طعان عند كل طعان)

ومن جيد الفخر ورائعه ما قاله وداك بن سنان بن ثميل المازني، وهو شاعر جاهلي افتخر بقومه بني مازن لما أراد بنو شيبان صرفهم عن الماء الذي يقال له: سفوان. وفي هذا

(١) ديوان الحماسة ١٠٣/١. والملحاء: الكتيبة العظيمة. وأحلاس: ملازمون. وقوله: إذا لبس الحديد، كناية عن الاستعداد للحرب.

الفخر نجد الشعر الرائق، الجيد السبك، وعليه من بهاء النظم والحماسة ما يغري بالإعجاب. يقول ودّاك[1]:

رُوَيْدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدِكم
تُلاقوا غداً خيلي على سَفَوانِ[2]

تلاقوا جياداً لا تحيدُ عنِ الوغى
إذا ما غدتْ في المأزقِ المتداني[3]

عليها الكماةُ الغُرُّ مِن آلِ مازنٍ
ليوثُ طعانٍ عندَ كلِّ طعانِ[4]

تلاقوهمُ إذ تعرفوا كيفَ صبرُهم
على ما جنتْ فيهم يدُ الحدثانِ[5]

مقاديمُ وصّالون في الرَّوْعِ خطوَهم
بكلِّ رقيقِ الشّفرتيْنِ يمانِ[6]

إذا استنُجدوا لم يسألوا مَن دعاهمُ
لأيّةِ حربٍ أم بأيِّ مكانِ

* * *

(١) ديوان الحماسة ١/٣٢ ـ ٣٣.

(٢) رويد: مهلاً ورفقاً. وسفوان، اسم ماء قريب من البصرة.

(٣) الوغى: الحرب. والمأزق: المضيق.

(٤) الكماة: جمع كمي، وهو الفارس. والغر: البيض الوجوه.

(٥) الحدثان: صروف الدهر وأحواله.

(٦) مقاديم، جمع مقدام، وهو الكثير الإقدام في الحرب. والروع: الحرب=

(إن الكرام قليل)

هو أبو شريح السموأل بن عادياء الشاعر الجاهلي، من يهود المدينة، وكان جواداً عالي الهمة، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وهو الذي فضل أن يُقتل ابنه، ولمْ يخفر ذمته مع امرىء القيس الذي أودعه دروعه، فضرب المثل بوفائه. ومن جيد شعر السموأل وأروعه في الفخر بكرم الأخلاق والشهامة والشجاعة قوله[1]:

إذا المرءُ لم يدنسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرضُه
فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

تُعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا
فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليل

وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا
عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليل

لنا جبلٌ يحتلُّه منْ نجيرُه
منيعٌ يردُّ الطّرفَ وهْو كليل[2]

= واللقاء. ورقيق الشفرتين، إشارة إلى السيف. واليمان: المنسوب إلى اليمن.

(١) تاريخ الآداب العربية ١/٩٢-٩٣.

(٢) المقصود بالجبل، الحصن الذي كان للسموأل. وكليل: ضعيف.

وقد هرّتْ كلابُ الحيّ مِنّا

وشذّبْنا قتادةَ منَ يلينا[1]

متى ننقلْ إلى قومٍ رَحانا

يكونوا في اللقاءِ لها طحينا

نطاعنُ ما تراخى الناسُ عنا

ونضربُ بالسيوفِ إذا غشينا

بسمرٍ من قنا الخطّيِ لُدْنٍ

ذوابلَ أو ببيضٍ يختلينا[2]

نشقُّ بها رؤوسَ القومِ شَقّا

ونُخليها الرقابَ فتختلينا

ورثْنا المجدَ قد علمتْ مَعَدٌّ

نطاعنُ دونَه حتى يبينا

ونحن إذا عمادُ الحيِّ خرّتْ

عنِ الأحفاصِ نمنعُ من يلينا[3]

بشبّانٍ يرون القتلَ مجداً

وشِيبٍ في الحروبِ مجرّبينا

---

(١) القتادة: الشوكة.

(٢) السمر: صفة للرماح، واللدن: اللينة، ومثلها الذوابل.

(٣)الأحفاص: الخيام وأمتعتها.

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

ونحن الحاكمونَ إذا أطعْنا

ونحن العازمون إذا عصينا

ونحن التاركون لما سخطْنا

ونحن الآخذون لما رضينا

وقد علمَ القبائلُ مِن مَعَدٍّ

إذا قُببٌ بأبطحِها بنينا

بأنا المطعمونَ إذا قدرْنا

وإنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردْنا

وأنا النازلون بحيث شينا

ونشربُ إن وردْنا الماءَ صفواً

ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا

ونحن البحرَ نملؤه سفينا

إذا بلغَ الرضيعُ لنا فطاماً

تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

* * *

وهو بشامة بن حزن، وأغلب الظن أنه من الشعراء الإسلاميين. والشاعر هنا يفتخر بقومه بني نهشل، السابقين لكل مكرمة، والمرخصين نفوسهم في سبيل حياة العزة والشرف والسؤدد. يقول بشامة(1):

إنّـا بـني نـهشـلٍ لا نـدّعـي لأبٍ
عـنـه ولا هـو بـالأبنـاءِ يَشْـرينـا

إنْ تُبتـدرْ غـايـةٌ يـومـاً لِمكـرمـةٍ
تـلقَ السّـوابـقَ منّـا والـمصلّينـا(2)

ولـيسَ يـهـلكُ منّـا سـيـدٌ أبـداً
إلاّ افْتلينـا غـلامـاً سيّـداً فـينـا(3)

إنّـا لَنُـرخصُ يـومَ الـرَّوْعِ أنفسَنـا
ولـو نُسـام بهـا في الأمنِ أغلينـا(4)

بـيضٌ مفـارِقُـنـا تـغـلي مـراجلُنـا
نـأسـوا بـأمـوالِنـا آثـارَ أيـديـنـا(5)

---

(1) ديوان الحماسة ١/ ٢٥ - ٢٧.

(2) تبتدر: تستبق. والمصلين: السابقين.

(3) افتلينا: افتطمنا وأخذنا عن الأم.

(4) نرحض: نجعلها رخيصة. ويوم الروع: يوم الكريهة واللقاء.

(5) بيض مفارقنا، كناية عن الصفاء والنقاوة من الذم والعيب. ونأسو: نداوي، وهنا كناية عن الغنى والسطوة.

إني لـمنْ معشـرٍ أفنـي أوائلَهـم
قيلُ الكُماةِ ألا أينَ المحـامونـا[1]

لـو كانَ في الألفِ منّـا واحـدٌ فـدعَـوْا
مَن فـارسٌ خـالَهـم إيّـاه يعنـونـا

إذا الـكمـاةُ تنحّـوْا أنْ يـصيبهُـم
حـدُّ الـظُّباةِ وصلْناهـا بـأيـدينا[2]

ولا تـراهـم وإنْ جلّتْ مـصيبتُهـم
مـعَ البكاةِ على مَن مـاتَ يبكـونـا

ونـركبُ الكُـرْهَ أحيـانـاً فيفـرجُـه
عنّـا الحفـاظُ وأسيـافٌ تـواتينـا[3]

* * *

حسّان بن نشبة

(تركنا لهم شقّ الشمال)

ومن جيد الفخر الجماعي بالقوم والقبيلة ما قاله حسان بن نشبة العدوي التيمي[4]:

---

(١) الكماة: الفرسان، جمع كميّ. وهنا يشير إلى أنهم أصحاب نجدة وإقدام.

(٢) الظباة: جمع ظبة، وهي حد السيف.

(٣) الكره: الشدة والمكروه. وركوب الكره، كناية عن الوقوع فيه والقصد إليه. وتواتينا: توافقنا.

(٤) ديوان الحماسة ١/١٢٤.

أتــاني فلم أســرزْ بــهِ حينَ جــاءني

حــديثٌ بــأعلى القُنَّتيْـن عجيـبُ[(١)]

تـصــامَمْتــه لمّــا أتــاني يـقـينُــه

وأفــرغَ مـنــه مخـطـئٌ ومـصيـب[(٢)]

وحُـدّثتُ قـومي أحـدثَ الـدهـرُ فيهم

وعـهـدُهمُ بــالـحـادثـاتِ قــريـب

فــإنْ يــكُ حقّــاً مــا أتــاني فــإنهم

كــرامٌ إذا مــا الـنـائبـاتُ تـنـوب

فـقيـرُهـمُ مُبـدي الـغنى وغنيُّهـم

لــه ورق لـلسـائلـيـنَ رطيـب[(٣)]

ذلـولُـهمُ صعبُ الـقيـادِ وصعبُهـم

ذلــولٌ بـحقِّ الـراكـبيـنَ ركـوب[(٤)]

إذا رنّـقتْ أخــلاقَ قــومٍ مـصيبـةٌ

تَصفّى لهــا أخــلاقـهمُ وتــطيـب[(٥)]

---

(١) القنتين: اسم جبل.

(٢) تصاممته، أي تصاممت عنه، وأظهرت الصمم.

(٣) لهم ورق رطيب، كناية عن الندى والغنى.

(٤) الذلول: السهل الركوب والجانب، كنـاية عن حسن الخلق، والصعب، خلافه.

(٥) رنقت: كدرت.

ومن يغمـروا منهم بفضـلٍ فـإنـهم
إذا مـا انتمى في آخـرينَ نجيب[1]

* * *

إبراهيم بن كنيف

(وليس على ريب الزمان معوّل)

ومن أروع الفخر ما قاله إبراهيم بن كنيف، في نبهان، وهو شاعر إسلامي يفخر بقوة جلده واحتماله الشدائد والمكاره، ولا يخلو فخره من الحكمة والمثل، فيقول[2]:

تَعَـزَّ فـإنَّ الصبـرَ بـالحـرِّ أجمـلُ
وليس على رَيْبِ الـزمـانِ معـوَّلُ[3]
فلو كـان يُغني أنْ يُرى المرءَ جازعـاً
لحـادثـةٍ أو كـانَ يُغـني التـذلّـل[4]
لكـان التعـزّي عنـدَ كـلِّ مصيبـةٍ
ونـائبـةٍ بـالـحـرِّ أولـى وأجـمـل

(١) النجيب: الفاضل.
(٢) ديوان الحماسة ١/٨٨ - ٨٩.
(٣) المعول: ما يعتمد عليه. وريب الزمان: صرفه.
(٤) يغني: ينفع. وجازعاً: غير صابر.

وأقـام الـعـزُّ فـيـنـا والـغـنـى
فـلـنـا فيـه عـلى الـنـاسِ الـكـبـر
نـحن أهـلُ الـعـزِّ والمـجـدِ مـعـاً
غيـرُ أنكـاسٍ ولا مـيـلٍ عُسُـر[1]
فـاسـألـوا عـنـا وعـن أفـعـالِـنـا
كـلُّ قـومٍ عـنـدَهم عـلمُ الـخـبـر

* * *

(كل دار فيها أب لي عظيم)

ولا يقل هذا الفخـر الآخر عن الأول روعـة وأداء. يقول حسان مفتخراً بخاله وأبيه:

إنّ خـالي خـطيبُ جـابيةِ الجـولانِ
عـنـدَ الـنـعـمـانِ حـيـنَ يـقـومُ
وهـو الصقـرُ عنـد بـابِ ابن سلمي
يـومَ نـعمـانُ في الكـبـولِ سقـيم
وسـطت نـسبـتي الـذوائـبَ مـنـهـم
كـلُّ دارٍ فـيـهـا أبٌ لـي عـظيـم
وأبي في سميحـة القـائـلُ الفـاصـلُ
يـومَ الـتـفّـتْ عـلـيـه الـخـصـوم

(١) الأنكاس: الضعاف، جمع نكس. والميل، جمع أميل، وهو الذي بلا سيف. والعسر، جمع أعسر، وهو الذي يعمل بيسراه.

يفصــلُ القـولَ بــالبيــانِ وذو الـــرأيِ
مِـن الـقـــومِ ظــالــمٌ مكــعــوم[1]

* * *

أبو النجم (١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م)

(فلئن فخرت بوائل)

أبو النجم، واسمه الفضل بن قدامة العجلي، أحد رجال الطبقة التاسعة من الرجاز في العصر الأموي. وربما قصّد أبو النجم، أي قال القصيد، لا الرجز، فأجاد، ومن هذا القبيل هذه الأبيات المقتطفة من قصيدة له، وهي تعتبر من أروع الفخر بالآباء ومناقبهم. يقول أبو النجم[2]:

فلئن فخــرتُ بــوائــلٍ فقــدِ ابْتنـتْ
يــومَ المكــارمِ فــوقَ كــلِّ بنــاءِ[3]
ولئـنْ خصـصتُ بـني لـجيـمٍ إنـني
لأخصُّ مــكــرمــة وأهــل غنــاءِ[4]

(١) البيان والتبيين ٢/ ٣٧٤. والمكعوم: الذي في فمه الكعامة، فهو لا يستطيع النطق. وظالع: مائل ومنحرف يعرج في مشيه.

(٢) طبقات الشعراء، ص ٢٢٠.

(٣) وائل، إحدى أشهر قبائل العرب، ومنها بكر وتغلب.

(٤) الغناء: الفضل والخير.

سلي الـرمـاحَ العـوالي عنْ معـالينـا
واسْتشهدي البيضَ هل خابَ الرّجافينا

وسـائلي العـربَ والأتـراكَ مـا فعلتْ
في أرض قبر عبيـد اللّهِ أيـديـنـا

لمّـا سعيْنـا فـمـا دقّتْ عـزائـمنُـا
عمّـا نـرومُ ولا خـابتْ مسـاعينـا

إذا ادَّعـوا جاءتِ الـدنيا مصـدّقـةً
وإنْ دعـوا قـالـت الأيـامُ آمـيـنـا

ولـلدمـاءِ عـلى أثـوابِـنـا عـلقٌ
بنشـرِهِ عن عبيرِ المسـكِ يغنينـا[1]

فيـالهـا دعـوةً في الأرضِ سـائـرةً
قـد أصبحتْ في فم الأيـامِ تلقينـا

إنّ لـقـومٌ أبتْ أخـلاقُـنـا شـرفـاً
أنْ نبتـدي بـالأذى من ليس يـؤذينـا

بـيضٌ صنـائـعُنـا سـودٌ وقـائـعُـنـا
خضـرٌ مـرابعُنـا حـمـرٌ مـواضينا[2]

* * *

---

(١) النشر: الرائحة. والعلق: الدم والنشر.

(٢) الصنائع: الفضائل المعروفة. والوقائع: الأيام والحروب.

الفخر المشترك

طرفة (ت حوالي ٥٥٢ م)

(إذا القوم قالوا من فتى)

طرفة من الشعراء الجاهليين المتقدمين، وأحد أصحاب المعلقات المعدودين؛ ولقد تضمنت معلقته العديد من الأغراض الشعرية، وإن منها هذا الفخر الرائع بالجرأة والشجاعة والنجدة والجود والمنعة والمضاء[١]:

إذا القومُ قالوا مَن فتىً خِلتُ أنني
عُنيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلَّدِ
ولستُ بحلّالِ التلاعِ مخافةً
ولكنْ متى يسترفدِ القومُ أرفدِ[٢]

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٤ ـ ٢٨ .

(٢) التلاع: مرتفعات الأرض الكثيرة الماء يسترفد: يطلب الرفد والعون. وأرفد: أعين وأناصر.

طرفة مفتخراً بمناقب قومه[1]:

سائلوا عنّا الذي يعرفُنا
بقوانا يومَ تحلاقِ اللّمْمْ

يومَ تُبدي البيضُ عن أسْوُقِها
وتلفُّ الخيلَ أعراجُ النّعم[2]

أجدرُ الناسِ برأسٍ صلدمٍ
حازمِ الأمرِ شجاعٍ في الوغم[3]

خيرِ حيٍّ مِن مَعَدٍّ علموا
لِكَفيٍّ ولجارٍ وابنِ عمّ[4]

نُقلٌ للشّحمِ في مشتاتنا
نُحُرٌ للِنِّيبِ طرّادُ القرم[5]

نزعُ الجاهلَ في مجلسِنا
فترى المجلسَ فينا كالحرم[6]

(١) ديوان طَرفة ص ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) الأسوق، جمع ساق، ما بين الكعب والركبة. والأعراج: قطعان الإبل. والنعم: الماشية.

(٣) الصلدم: الشديد البأس. والوغم: الحرب الضروس.

(٤) الكفي: الرغيد العيش. ومعد، أحذ أجداد العرب الشماليين.

(٥) نقل للشحم، كناية عن الكرم وإطعام الضيف. والمشتاة: محل الإقامة في الشاء. والنحر: جمع ناحر، وهو ذابح الناقة. والنيب، النياق المسنّة. والقرم: الشوق إلى اللحم.

(٦) نزع: نردع.

وتـفـرّعْـنـا مــن ابـنـيْ وائـلٍ
هـامـةَ العـزِّ وخـرطـومَ الكـرم[1]

حين يحمي النـاسُ نحمي سـربَنـا
واضحي الأوجـهِ معـروفي الكـرم

نُمسـكُ الخيـلَ عـلى مكـروهِهـا
حـيـن لا يـمـسـكُ إلاّ ذو كـرم

نـذرُ الأبـطالَ صـرعـى بيـنـهـا
تعكفُ العـقبـانُ فيهـا والـرُّخـم[2]

* * *

(صبرنا وكان الصبر منا سجيّة)

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة المريّ، شاعر جاهلي مقدم مقلّ في شعره، ومن الفرسان المعدودين. قيل إن أشعر المقلّين ثلاثة: المسيب بن علس والحصين بن الحمام المري، والمتلمس.

ولقد حفظت الكتب للحصين أبياتاً فخرية هي من أجود

(١) ابنا وائل: بكر وتغلب. وطرفة من بكر، وكانت امه تغلبية. والخرطوم: الأنف.

(٢) تعكف: تستدير. والعقبان والرخم، من جوارح الطير.

فـجـاؤوا عـارضـاً بـرِداً وجئـنـا

كمثـلِ السّيـلِ نـركبُ وازعيْنـا[1]

تـنـادَوْا يـا لَـبـهـثـةَ إذْ رأوْنـا

فقلْنـا أحـسني ضـربـاً جُهَـينـا[2]

سـمعـنـا دعـوةً عن ظـهـرِ غيـبٍ

فـجـلْنـا جـولـةً ثـم ارعـويـنـا

فـلمـا أنْ تـواقـفْـنـا قـليـلاً

أنخنـا للكـلا كـلِ فـارتمينـا[3]

فلمّـا لـم نـدعْ قـوسـاً وسـهـمـاً

مـشيْنـا نـحـوهـم ومَشَـوْا إلـينـا

شـددْنـا شـدّةً فـقـتـلتُ مـنـهـم

ثـلاثـةَ فـتيـةٍ وقـتـلتُ قـيْنـا[4]

فـآبـوا بـالـرمـاحِ مـكـسّـراتٍ

وأبْنـا بـالسيـوفِ قـد انحـنيـنـا[5]

---

(١) عارضاً: سحاباً معترضاً في الأفق. والبرِد: ما فيه برد. والوازع: من يرتب الجيش ويصلحه.

(٢) تنادوا: نادى بعضهم بعضاً. وبهثة وجهينة، بطنان من العرب.

(٣) تواقفنا: وقف كل منا للاستراحة من الحرب. والكلاكل: الصدور.

(٤) القين: اسم للفارس.

(٥) آبوا: رجعوا.

فبـاتـوا بـالصّـعيـدِ لـهـم أحـاحٌ
ولـو خفَّتْ لنـا الكلمى سَـرْينـا[1]

* * *

(فأبت بنفس قد أصبت دواءها)

هـو أبو يـزيد قيس بن الخـطيم، ينتمي إلى بني ظفر من الأوس. من شعراء المدينة، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم. قتله الخزرج.

وكان رجل من بني حارثة بن الحارث يقال له: مالك، قد قتل الخطيم، والد الشاعر، وهو صغير، فلما بلغ عُيِّر بذلك، ثم أقدم على قتل مالك. وفي الأبيات التالية إشارة إلى ذلك، وهي تعتبر من رائع الفخر. يقول قيس[2]:

وكنتُ امْـرءاً لا أسمـعُ الـدهـرَ سُبَّـةً
أسبُّ بهـا إلا كشفْـتُ غـطاءَهـا[3]

---

(١) الصعيـد: الـظاهـر من الأرض. والأحـاح: الصـوت والأنين. وكلمى: أصابتهم الجراح. وسرينا: سرنا ليلاً.

(٢) الديوان ص ٤٩ ـ ٥٠. ط ٢. تحقيق ناصر الـدين الأسد. دار صـادر. بيروت ١٩٦٧ م.

(٣) أي هو لا يقبلّ الطعن على نفسه.

(الواطئين على صدور نعالهم)

ومن جيد المدح في الجاهلية، ما قاله الأعشى، الشاعر الجاهلي المعروف، وأحد أصحاب المعلقات، واسمه ميمون بن قيس، يفتخر بقومه الذي ضربوا المثل في السؤدد والسيادة والشجاعة وإقراء الضيف. يقول الأعشى[1]:

إني امرؤٌ مِن عصبةٍ قيسيّةٍ
شمّ الأنوفِ غرانقٍ أحشادِ[2]
الواطئين على صدورِ نعالِهم
يمشون في الدفنيِّ والأبراد[3]
والشاربين إذا الذوارعُ غُوليتْ
صفوْ الفضالِ بطارفٍ وتِلاد[4]
والضامنين بقومِهم يوم الوغى
للحمدِ يومَ تنازلٍ وطِراد

(١) ديوان الأعشى ص ٥١ ـ ٥٢. دار صادر. بيروت.

(٢) الغرانق: جمع غرنيق، وهو الشاب الناعم. وشم الأنوف، كناية عن الرفعة. والأحشاد: المجتمعون.

(٣) الدفني: الثوب المخطط. والأبراد: الأثواب، جمع برد. وهنا يتحدث الشاعر عن النعمة التي فيها قومه.

(٤) الذوارع: جمع ذروع، وهو البعير. وغوليت: أهلكت. والطارف: الجديد من المال، والتلاد: قديمه.

كم فيهُم مِن فارسٍ يومَ الوغى
ثقِفِ اليديْنِ يهلُّ بالإقصاد[1]
وإذا اللقاحُ تروَّحتْ بأصيلةٍ
رَتَكَ النعامِ عشيَّة الصراد[2]
حجروا على أضيافِهم وشَوَوْا لهم
مِن شطِّ مُنقيةٍ ومن أكباد[3]

* * *

(ولا نلعن الأضياف إن نزلوا بنا)

ومن جيد الفخر بالكرم والضيافة، والحلم والوقار، ما قاله أيضاً[4]:

فلا تصرميني واسألي ما خليقتي
إذا ردَّ عافي القدر مَن يستعيرُها
إذا احمرَّ آفاقُ أسماءِ وأعصفتْ
رياحُ الشتاءِ واستهلّتْ شهورُها

---

(١) يهل بالإقصاء، أي يصيب بالسهام.

(٢) اللقاح: الإبل الفتية. وتروحت: عادت إلى المراح. والرتك: ضرب من السير. والصراد: الغيم الرقيق.

(٣) حجروا عليهم: ضيقوا عليهم وأبقوهم عندهم. والشط: السنام. والمنقية: السمينة من الإبل.

(٤) الديوان ص ٦٧ ـ ٦٨.

تَـرَيْ أنَّ قِـدري لا تـزالُ كـأنـهـا
لِـذي الفـروةِ المقـرورِ أمٌّ يـزورهـا

مـبـرّزةٌ لا يُجـعـلُ السـتـرُ دونـهـا
إذا أُخمـدَ النيـران لاحَ بشيـرُهـا

ولا نلعنُ الأضيـافَ إنْ نـزلـوا بنـا
ولا يمنـعُ الكومـاء منّـا نصيـرهـا

وإنّي لَتـراكُ الـضغـينـةِ قـد أرى
قـذاهـا من المـولى فـلا أستثيـرهـا

وقـورٌ إذا مـا الجهـلُ أعجبَ أهـلَه
ومِن خيـرِ أخـلاقِ الـرجـالِ وُقـورهـا

* * *

عامر بن الطفيل (ت ١٠ هـ/ ٦٣١ م)

(فما سوّدتني عامر عن وراثة)

ومن جيد الفخر وأروعه فخر عامر بن الطفيل، وهو من بني عامر بن قيس عيلان، وأحد فرسان قومه، بل سيّدهم غير المنازع. عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وكان ممن وفد على النبي ﷺ ومعه أربد أخو لبيد، لكنه لم يسلم، وذهب مغاضباً.

يقول عامر مفتخراً بنفسه البطلة[1]:

تقـولُ ابنـةُ العَمْـريِّ مـالـكَ بعـدمـا
أراكَ صحيحـاً كـالسليمِ المعـذَّبِ[2]

فقلتُ لهـا همـيَّ الـذي تعـرفينـه
مِن الثـأرِ في حيَّيْ زبيـدٍ وأرحب[3]

إنَ اغْـزُ زبيـداً أغـزُ قـومـاً أعـزَّة
ومـركبُهم في الحيِّ مِن خيرِ مـركب

وإنْ أغـزُ حيَّـيْ خثعمٍ فـدمـاؤُهـم
شـفـاءٌ وخيـرُ الـثـأرِ للمتـأوِّب[4]

فـمـا أدركَ الأوتـارَ مثـلُ محـقّـقٍ
بـأجـردَ طـاوٍ كـالعسيبِ المشـذَّب[5]

وأسـمـرَ خـطِّيٍّ وأبـيضَ بـاتـرٍ
وزغفٍ دلاصٍ كـالغـديـر المثـوّب[6]

---

(١) زهر الآداب ١/٨٦، والكامل ١/٩٥، والشعر والشعراء، ص ٢٩٥.

(٢) السليم: الملدوغ.

(٣) زبيد وأرحب، حيّان من أحياء اليمن.

(٤) المتأوب: الذي يأتي لطلب الثأر.

(٥) الأوتار، جمع وتر، وهو الحقد، والأخذ بالثأر. والأجرد: صفة للفرس المنحسر الشعر. والعسيب: السعفة من النخل.

(٦) الأسمر، صفة للرمح. والخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو البلد الذي تصنع فيه الرماح. والأبيض الباتر، صفة للسيف. والزغف: الدرع =

وإني وإنْ كنتُ ابْنَ سَيِّدِ عامرٍ

وفي السِّرِّ منها والصَّريحِ المهذَّب

فما سوّدتني عامرٌ عن وراثةٍ

أبى اللهُ أنْ أسمو بأمٍّ ولا أب

ولكنّني أحمي حِماها وأتّقي

أذاها وأرمي مَن رماها بمنكب

* * *

(أكرّ عليهم دعلجاً)

ولعامر، مخاطباً زوجته، بيتان من جيد شعر الفخر، قالهما يوم فيف الريح، وقد تجمع بنو الحارث بن كعب على بني عامر وهما:

طلقت إن لم تسألي أيّ فارس

حليلك إذ لاقى صداء وخثعما

أكرّ عليهم دعلجاً ولبانه

إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحما[1]

* * *

= الدقيقة النسج. والدلاص: الدرع اللينة الملساء. والمثوب: الذاهب والآتي.

(١) ديوان الحماسة ٤٣/١ . دعلج، اسم فرس الشاعر. وصداء وخثعم، إسما قبيلتين عربيتين. واللبان: الصدر. والحمحمة: الصهيل.

(وعندك من أيامنا قبلها غير)

ومن جيد ما قاله عامر بن الطفيل، يرد به على زياد، أي النابغة الذبياني ويفتخر بقومه[1]:

تُعيرُنا يومَ المَرْوراة سادراً
وعندك من أيامنا قبلها غِيَرْ[2]

فَمَنْ مُبلغٌ ذبيانَ عنّي رسالةً
مغلغلةً مني وما تنفعُ العِذَرْ[3]

وقد علمتْ عُليا هوازنَ أننا
بنو الحربِ لا نعيا بِوردٍ ولا صَدَرْ[4]

نشدُّ عصابَ الحربِ حتى ندرّها
إذا ما نفوسُ القوم طالعت الثُغَر[5]

ترى رائداتِ الخيلِ حولَ بيوتنا
أبابيلَ تردي بالعشي وبالبُكُرْ[6]

* * *

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٧٢ دار صادر دار بيروت ١٩٦٣.

(٢) يوم مروراة، يوم مشهور سمي بالموضع الذي كان ظفر فيه بنو ذبيان ببني عامر. وسادراً: لاهياً. والغير: صروف الزمان وحوادثه.

(٣) ذبيان، اسم قبيلة عربية. والعذر: الأعذار.

(٤) هوازن: اسم قبيلة عربية. والورد: إتيان الماء. والصدر: الذهاب عنه.

(٥) الثغر: جمع ثغرة، وهي نقرة النحر.

(٦) أبابيل: متفرقة جماعات جماعات.

(وإن يغضب على القوم يغضبوا)

من جيد الشعر في الفخر، شعر حريث بن مخفض المازني، وهو من الشعراء المخضرمين في الجاهلية والإسلام. يقول حريث مفتخراً بقومه[1]:

أَلَمْ تَرَ قَوْمي إنْ دعاهم أخوهمُ
أجابوا وإنْ يغضبْ على القومِ يغضبوا
همُ حفظوا غيبي كما كنتُ حافظاً
لقوميَ أخرى مثلها إنْ تغيّبوا
بنو المجدِ لم تقعدْ بهم أمهاتُهم
وآباؤهم آباءُ صدقٍ فأنجبوا[2]

* * *

(فما ذاكم عليّ بعار)

ومن جيد فخره بنفسه وبقومه قوله أيضاً[3]:

وإنْ تكُ درعي يومَ صحراء كلبةٍ
أُصيبتْ فما ذاكمْ عليَّ بعارِ

---

(١) طبقات الشعراء ص ٧٤.

(٢) أنجبوا، أي صار نجباء، وأولدوا أولاداً نجباء خيّرين.

(٣) الحيوان ٣/٣٨٩.

ألمْ تـكُ مِن أسلابكم قبلَ ذاكمُ
على وَقَبى يوماً ويوم سفارِ[1]
ونحن طردْنا الحيَّ بكرَ بنَ وائلٍ
إلى سنةٍ مثلِ الشهابِ ونارِ

* * *

(وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً)

ومن رائع الفخر ما قاله قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري، وهو من الشعراء المخضرمين المتقدمين، وكان النبي ﷺ استعمله على صدقات بني سعد. يقول مفتخراً بجوده وكرمه وإقرائه الضيف، وهو من فريد المعاني[2]:

أيا ابْنةَ عبدِ اللّهِ وابنةَ مالكٍ
ويا ابنةَ ذي البرديْنِ والفرسِ الورْدِ[3]
إذا ما أصبتِ الزّادَ فالتمسي له
أكيلاً فإني لستُ آكله وحدي

(١) وقبى وسفار: يومان من أيام العرب.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١ / ٣٤٥.

(٣) البردين، مثنى برد، وهو الثوب. والفرس الورد، الذي له لون الورد.

قصيّاً كريماً أو قريباً فإنني

أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ مِن بعدي

وإني لعبدُ الضّيفِ ما دامَ ثاوياً

وما مِن خلالي غيرَها شيمة العبد[(١)]

* * *

(خطباء حين يقوم قائلهم)

ومن جيد فخره يذكر مناقب قومه في الخطابة والبلاغة[(٢)]:

إنّي امْرؤٌ لا يعتري خُلُقي

دنسٌ يفنِّده ولا أفنُ[(٣)]

مِن منقرٍ في بيتِ مكرمةٍ

والأصلُ ينبتُ حولَه الغصنُ[(٤)]

خطباءُ حينَ يقومُ قائلهُم

بيضُ الوجوهِ مصاقعٌ لُسن[(٥)]

---

(١) غيرها، هنا، استثناء مقدم. والشيمة: الصفة.

(٢) البيان والتبيين ١/١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) يعتري: يصيب. والأفن: نقص العقل، والخُرق. ويفنده. يظهره.

(٤) منقر، قوم الشاعر.

(٥) مصاقع، جمع مصقع، وهو الحاد اللسان. ومثله اللسن.

لا يـفـطنـون لِعـيـبِ جـارِهِـم
وهـمُ لِـحـسـنِ جـوارِهـم فـطن

* * *

لبيد (ت ٤١ هـ)

(ضمنّ له قراه من الشحوم)

ومن الفخر الجيد الرائع ما قاله لبيد في قومه، ولبيد، كما هو معروف من فحول الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية، وأدركوا الإسلام، وهو من أصحاب المعلقات المشهورين، ويعتبر أحد المعمّرين.

يقول لبيد(١):

فـلا وأبـيـك مـا حـيٌّ كـحـيٍّ
لـجـارٍ حـلَّ فـيـهـم أو عـديـمِ
ولا لـلـضـيـفِ إن طـرقـتْ بـلـيـلٌ
بـأفـنـانِ العِـضـاهِ وبـالـهـشـيـمِ(٢)

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٠٣ ـ ١٠٦. تحقيق إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢ م.

(٢) البليل: الريح الباردة. فيها بلل. والعضاة: الشجر العظام ذات الشوك. والهشيم: ما يبس من النبت.

ورُوِّمت اللقاحُ بغير دَرٍّ
إلى الحجرات تعجلُ بالرسيمَ[1]
إذا ما درّها لم يَقْرِ ضيفاً
ضمنٌ له قِراهُ منَ الشحوم
فلا نتجاوزُ العطلات منها
إلى البَكْرِ المقاربِ والكزوم[2]
ولكنا نعضّ السيفَ منها
بأسْوُقِ عافياتِ اللحم كُوم[3]
وكم فينا إذا ما المحلُ أبدى
نحاسَ القوم مِن سمْحٍ هضوم[4]
يباري الريحَ ليس بجانبيٍّ
ولا دفنٍ مروءته لئيم
إذا عُدَّ القديمُ وجدْتَ فينا
كرائمَ ما يُعدُّ من القديم

---

(١) الدر: اللبن. والرسيم، ضرب من السير. واللقاح: الإبل. واللقاح: الحمل.

(٢) العطلات: الطوال الأعناق. المقارب: الدنيء. الكزوم: الناقة المسنة الهرمة.

(٣) العافيات: كثيرات اللحم. نعض السيف: نضرب به. الكوم: عظام الأسنمة. والأسواق: القوائم.

(٤) نحاس القوم: طبيعتهم. والهضوم: السخي.

وجـدتَ الـجـاهَ والآكـالَ فـيـنـا
وعـاديَّ الـمـآثـرِ والأروم[1]

* * *

(ولكل قوم في النوائب خيم)

وله في قومه[2]:

قـومي أولئـك إنْ سـألتِ بخيمِهـم
ولكـلِّ قـومٍ في النـوائبِ خِيمُ[3]
وإذا شـتَـوْا عـادت على جيرانهـم
رُجُـحٌ تـوفّـيـهـا مـرابـعُ كـوم
ولـهـم حـلومٌ كـالجـبال وسـادةٌ
نُـجـبٌ وفـرعٌ مـا جـدٌ وأروم
وإذا تـواكـلت المـقـانـبُ لـم يـزل
بـالـثغـر منـا منسـرٌ وعـظيـم[4]
نـسـمـو بـه ونـفـلُّ حـدَّ عـدوِّنـا
حتى نـؤوبَ وفي الـوجـوه سـهـوم

---

(١) الآكال، جمع أكل، وهي الأموال. والعادي: القديم. والأروم: الأصل.
(٢) الديوان ص ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٣) الخيم: الخلق.
(٤) المقانب: الكتائب. والمنسر: الكتيبة من ثلاثين إلى أربعين رجلاً. والسهوم: الضمور. والثغر: موضع المخافة.

(ولكلّ قوم سنّة وإمامها)

ومن جيد فخر لبيد، ذلك الفخر الذي ضمّنه معلقته المشهورة، وهو يدور حول الشجاعة والسخاء والتمسك بالخلق القويم. يقول لبيد مخاطباً نواراً، حبيبته[1]:

أَوَ لَمْ تكنْ تدري نوارُ بأنني
وصّالُ عقدِ حبائلٍ جذّامُها[2]
ترّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضَها
أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها
بل أنتِ لا تدرين كم مِن ليلةٍ
طلقٍ لذيذٍ لهوُها وندامها[3]
قد بتُّ سامرَها وغايةَ تاجرٍ
وافيتُ إذ رفعتْ وعزَّ مُدامها[4]
ولقد حميتُ الحيَّ تحملُ شكّتي
فرطٌ وشاحي إذ غدوتُ لجامُها
فعلوتُ مرتقياً على ذي هبوةٍ
حرجٍ إلى أعلامهنَّ قتامها[5]

---

(١) المعلقات العشر ص ١٠٢ - ١٠٧.

(٢) جذام: قطاع. ويريد بقوله: وصال عقد، أنه لا ينقض العهد، بل يصله.

(٣) طلق: ساكنة لا فيها حرّ ولا برد. وندام: رفاق الشراب.

(٤) المدام: الخمرة، وهنا يفتخر بشربه وماله.

(٥) ذي هبوة، يريد به فرسه. والقتام: الغبار.

حتى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ
وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامها[1]

أسهلتُ وانتصبتْ كجذعِ منيفةٍ
جرداء يحصرُ دونها جرّامها[2]

إنّا إذا التقتِ المجامعُ لم يزلْ
منّا لزازُ عظيمةٍ جشّامها[3]

مِن معشرٍ سنّتْ لهم آباؤهم
ولكلِّ قومٍ سنّةٌ وإمامها

إنْ يفزعوا تلق المغافرَ عندهم
والسّنّ يلمعُ كالكواكبِ لامها[4]

لا يطبعون ولا يبورُ فعالُهم
إذْ لا يميلُ مع الهوى أحلامها

* * *

(إذا ناء منهم كوكب غار كوكب)

من الشعراء الإسلاميين المجيدين، العجير بن عبد الله

(١) الكافر: الليل، وأجنّ: ستر. والثغور: المواضع التي يدافع عنها.
(٢) جرداء: خالية من السعف والليف. والجرّام: من يجرم النخل ويقطع أحماله.
(٣) لزاز: شديد.
(٤) اللام، جمع لامة، وهي الدرع. والمغافر: الدروع، جمع مغفر.

السلولي، وهو في الطبقة الخامسة منهم. له من الفخر الجيد السهل والجزل معاً، قوله مفتخراً بنفسه وبقومه[1]:

خلقتُ جواداً والجوادُ مثابرٌ
على جريهِ ذو علّةٍ ويسيرُ
فلا توزعيني إنما يوزعُ الذي
به ضَعَفٌ أو في القيامِ فتور[2]
ولا تزدريني وانظري ما خليقتي
إذا ضاقَ أمرٌ أو أناخَ أمير[3]
فإنّ بني كعبٍ رجالٌ كأنهم
نجومُ السُّرى سُدّتْ بهنّ ثغور[4]
تحلّبُ أيديهم نجيعاً ونائلاً
إذا البُزْلُ لم يصبحْ بهنَّ درور[5]
مرَوْها بأطرافِ العوالي فأسبلتْ
نجيعاً له تحتَ اللّبانِ خرير[6]

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) توزعيني: تمنعينني وتكفّيني.

(٣) الخليقة: الطبيعة.

(٤) السرى: السير ليلاً. والثغور: المواضع المتقدمة التي يدافع عنها.

(٥) تحلّب، الأصل: تتحلب، أي تعطي حليباً. والنجيع: الدم. والنائل: العطاء والبزل، جمع بازل، وهي الناقة الشابة.

(٦) مروها: حلبوها. والعوالي: الرماح. واللبان الصدر.

مقيمين لا تعتادُ إلا وجدتهم
كما بالرّحا مِن صامتين صخور
إذا ناء منهم كوكبٌ غار كوكبٌ
لأنّ النّدى جمُّ القراعِ مطير[1]

* * *

(رأت فتية باعوا الإله نفوسهم)

ومن أروع الفخر ما قاله قطري بن الفجاءة، أحد أشهر شعراء الخوارج وخطبائهم المصقعين؛ قال هذا الشعر يوم دولاب، بين الخوارج والأحنف بن قيس، وهو يعتبر من أصدق الشعر لجهة توقد العاطفة، وفيض النفس العاشقة البطلة. يقول قطري مخاطباً أم حكيم[2]:

لَعمرُكَ إني في الحياةِ لَزاهدٌ
وفي العيشِ ما لَمْ ألقَ أمَّ حكيمِ
مِنَ الْخفراتِ البيضِ لم يُر مثلُها
شفاءٌ لِذي بثٍّ ولا لسقيم[3]

---

(١) ناء: نزل وهبط وغرب. وجم: كثير.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٢١٧ ـ ٢١٨.
(٣) البث: الحزن.

لعمرُكَ إني يومَ ألطمُ وجهَها

على نائباتِ الدهرِ جِدٌّ لئيم

ولو شهدتْني يومَ دولابَ أبصرتْ

طعانَ فتىً في الحربِ غيرِ ذميم[1]

غداةَ طغتْ عَلْماءِ بكرُ بنُ وائلٍ

وعجنا صدورَ الخيلِ نحوَ تميم[2]

وكان لعبدِ القيسِ أول جَدّها

وأحلافِها مِن يَحْصُبٍ وسليم[3]

وظلّتْ جيوشُ الأزدِ في حَوْمةِ الوغى

تقومُ وظِلْنا في الجلادِ نعوم[4]

فلم أر يوماً كان أكثرَ مُقْعصاً

يمجُّ دماً مِن فائظٍ وكليم[5]

---

(١) دولاب، اسم أعجمي غير منصرف، وينصرف للضرورة الشعرية. وذميم: مذموم.

(٢) علماء: الأصل، على الماء. وهذا جائز، لالتقاء لامَيْن، فتحذف إحداهما استثقالاً للتضعيف، وما بقي يدل على المحذوف.

(٣) عبد القيس، ويحصب وسليم، أسماء قبائل عربية.

(٤) الأزد، اسم قبيلة عربية، والوغى: الحرب.

(٥) مقعصاً، من القعص، وهو الطعن. والفائظ: الميت. والكليم: المجروح.

وضـاربـةٍ خـدّاً كـريمـاً على فتىً
أغـرَّ نـجيـبِ الأمّـهـاتِ كـريـم
أُصيبَ بـدولابٍ ولـم تـكُ مـوطنـاً
لـه أرضُ دولابٍ وديـرُ حـمـيـم
فـلو شـهـدتْنـا يـومَ ذاك وخيـلُنـا
تـبيـحُ مِـن الـكـفّـارِ كـلَّ حـريـم
رأتْ فتيـةً بـاعـوا الإلـه نفـوسَهم
بـجنّـاتِ عـدْنٍ عـنـدَه ونـعـيـم

* * *

(فصبراً في مجال الموت صبراً)

ومن رائع فخر قطري، وجيده، قوله[1]:

أقـولُ لهـا وقـد طـارتْ شَعـاعـاً
مِنَ الأبـطالِ ويحَـكِ لنْ تُـراعي[2]
فـإنـكِ لـو سـألـتِ بقـاءَ يـومٍ
على الأجـلِ الـذي لـكِ لن تُـطاعي
فصبـراً في مجـالِ المـوتِ صبـراً
فـمـا نَـيْـلُ الـخلودِ بـمسـتـطاع

(١) ديوان الحماسة ١/٢٤ - ٢٥.

(٢) أقول لها، أي للنفس. وشعاعاً: متفرقاً. تراعي: تفزعي.

ولا ثـوبُ الـبـقـاءِ بـثـوبِ عـزٍّ
فيُـطوى عن أخي الخنـعِ اليـراع[1]
سبيـلُ الـمـوتِ غـايـةُ كـلِّ حيٍّ
فـداعـيـه لأهـلِ الأرضِ داعـي
ومـنْ لا يـعـتـبطْ يـسـأمْ ويـهـرمْ
وتـسلمُـه الـمنـونُ إلى انقـطاع[2]
ومـا لـلمـرءِ خـيـرٌ فـي حـيـاةٍ
إذا مـا عُـدَّ مِن سقطِ الـمتـاع[3]

* * *

(لا يركنن أحد إلى الإحجام)

ومن جيد فخر قطري الحماسي قوله[4]:

لا يـركـنـنْ أحـدُ إلـى الإحـجـامِ
يـوم الـوغى متهيبـاً لِحـمـامِ[5]
فـلقـد أرانـي لـلرمـاحِ دريئـةً
مِـنْ عـنْ يـمـيـني تـارةً وأمـامـي

---

(١) الخنع: الذل. واليراع: الجبان.

(٢) يعتبط: يموت من غير علّة.

(٣) سقط المتاع: الشيء الذي لا قيمة له.

(٤) زهر الآداب ٢/١٠٢٨.

(٥) الحمام: الموت. والإحجام: التردد والتقهقر إلى الوراء.

حتى خضبتُ بما تحـدَّرَ مِن دمي
أكناف سرجي أو عنانَ لجامي[1]

* * *

(مخرتها بمطايا غارة تخد)

وحدث أبو حاتم قال: أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد. فقال لي: ما معك؟ قلت: شعر عروة. قال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه فقير. قلت: ما معي شعر غيره، فأنشدني؟ فأنشده شعر قطري بن الفجاءة، ثم عقب بالقول: هذا والله هو الشعر، لا ما يتعلل به من أشعار المخانيث. والشعر الفخري هذا وهو من جيد الفخر وأروعه، هو التالي[2]:

يا رُبَّ ظلِّ عقابٍ قد وقيتُ بهِ
مهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ[3]
وربَّ يومِ حمىً أرعيت عقوتَه
خيلي انتشاراً وأطرافُ القنا قُصُد
ويوم لِهوٍ لأهلِ الخفضِ ظلَّ بهِ
لهوي اصطلاءَ الوغى والنارُ تتقدَ

(١) العنان: الرسن. واللجام: ما يلجم به فم الدابة.
(٢) زهر الآداب ٢/١٠٢٧ ـ ١٠٢٨.
(٣) العقاب: الجبل. وتجتلد: يجلد بعضها بعضاً.

مشهّـراً مـوقفي والحـربُ كـاشفـةٌ
عنهـا القنـاعَ وبحـرُ المـوتِ يـطّرد
وربَّ هـاجـرةٍ تـغـلي مـراجـلُهـا
مخـرْتُهـا بمـطايـا غـارةٍ تَخِـدُ[1]
فـإنْ أمتْ حتفَ أنفي لا أمتْ كمـداً
على الطعانِ وقصـرُ العاجـزِ الكمدُ[2]
ولم أقل لم أسـاقِ المـوتَ شـاربـه
فـي كـأسِـه والمنـايـا شُـرَّعٌ وُرُد

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٣٢ م)

(وأحيا الوئيد فلم يوأد)

أشهر ما ميز الفرزدق هجاؤه، ثم فخره الذي اخترنا منه هذه الأبيات والمقطعات التي تعتبر من أروع الفخر وجيده.

يقول الفرزدق مفتخراً بجده صعصعة الذي لقب بمحيي المؤودات، اللائي كنّ يدفنّ أحياء[3]:

وجدّي الذي منعَ الوائداتِ وأحيا الوئيدَ فلم يَوْأدِ

---

(١) تخد: تسرع.

(٢) مات حتف أنفه. إذا مات على فراشه.

(٣) الفرزدق، ص ٨.

(أبي أحد الغوثين)

ويقول مفتخراً في المعنى نفسه:

أبي أحــدُ الغـوثْين صعصعــةُ الـذي
متى تخلف الجــوزاءُ والنـجمُ يُـمــطرِ
أجــارَ بنــاتِ الــوائــدين ومَن يُجـرْ
على القبــرِ يعلمْ أنـه غيــرُ مخفـرِ[1]

* * *

(أروني من يقوم لكم مقامي)

ويقول مفتخراً بلوعة متحدّية وهو على فراش الموت:

أرونــي مــن يـقــوم لـكـم مـقــامــي
إذا مــا الأمــر جــلّ عـن الخــطاب
إلـى مـن تــفــزعــون إذا حـثــوتــم
بــأيــديـكــم عـليّ مـن الـتــراب[2]

* * *

(يجرّون هدّاب اليماني)

ومن رائع فخره قوله في بني قومه بني دارم:

---

(١) المصدر نفسه ص ٩.

(٢) نفسه ص ٥٦.

بنـو دارمٍ قـومي تـرى جُحْـزاتِهـم
عتـاقـاً حـواشيهـا رقـاقـاً نعـالُهـا
يجـرّون هـدّابَ اليمـاني كـأنـهم
سيـوفٌ جلا الأطبـاعَ عنها صقـالُها[1]

* * *

(أولئك آبائي)

ومن رائع فخره ونادره وأجزله قوله متحدياً جريراً:

أولئـك آبـائي فـجئْني بـمثـلِهِمْ
إذا جمعتْنـا يـا جـريـرُ المجـامـعُ[2]

* * *

(وتخالنا جنّا إذا ما نجهل)

ومن أشهر فخر الفرزدق وأروعه قوله مفتخراً بقومه، وبنفسه وشاعريته[3]:

إن الـذي سمـكَ السمـاءَ بنى لنـا
بـيتـاً دعـائـمُـه أعـزُّ وأطـولُ[4]

---

(١) نفسه ص ٧٧. والأطباع: جمع طبع، وهو الصدأ. وأنظر: العقد الفريد، ١٩٣/٢ ـ ١٩٤. ط دار الكتاب العربي.

(٢) الفرزدق ص ٧٩.

(٣) الفرزدق ١٠١ ـ ١٠٤.

(٤) سمك: رفع.

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى
حكمُ السماءِ فإنه لا ينقل
بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائهِ
ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشل[1]
يلجون بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا
برزوا كأنهم الجبالُ المُثَّل
الأكثرون إذا يُعدُّ حصاهمُ
والأكرمون إذا يُعدّ الأول
حللُ الملوكِ لباسُنا في أهلنا
والسابغاتُ إلى الوغى نتسربل
أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً
وتخالُنا جِنّا إذا ما نجهل
وهب القصائدَ لي النوابغُ إذ مضَوْا
وأبو يزيدَ وذو القروحِ وجرول[2]
والفحلُ علقمةُ الذي كانت له
حللُ الملوكِ كلامه لا ينحل

---

(١) زرارة، ابن عدس، من مشاهير بني دارم قوم الفرزدق. ونهشل ومجاشع: ابنا دارم.

(٢) النوابغ: الذبياني، والجعدي، والشيباني. وأبو يزيد، هو المخبل. وذو القروح هو امرؤ القيس. وجرول، الحطيئة.

وأخــو بــنـي قــيسٍ وهـنّ قــتـلنــه
ومـهـلـهـلُ الـشـعــراءِ ذاك الأول

* * *

بشّار بن برد (ت ١٦٦ هـ/ ٧٨٣ م)

(إنّا ردى من نحاربه)

يعد بشار بن برد، الشاعر العباسي المميز، أول المولدين، وآخر المتقدمين من الإسلاميين. ومع أن أصله فارسي، وهو من الموالي، إلا أنه انتسب إلى قيس عيلان التي افتخر بها، مـدخلاً نفسه فيها، ويدل على ذلك هذه الأبيـات الفخريـة الرائعة[١]:

لعلّكَ تستـدْني بسيـرِكَ في الـدُّجـا
أخـائقـةٍ تُجـدي عليك منـاقبُـهْ[٢]
منَ الحيِّ قيسٍ قيسِ عيـلانَ إنـهم
عيـونُ النّدى منهم تُـروَّى محـالبـه
وسـامٍ لمـروانٍ ومِن دونـه الشجـا
وهول كلجِّ البحرِ جـاشتْ غواربـه[٣]

---

(١) ديوان بشار، ص ٣٥. طبعة القاهرة.

(٢) الدجا: الظلام. والمناقب: الفضائل والشمائل.

(٣) غواربه: أمواجه. وجاشت: اضطربت.

أحلّتْ به أمُ المنايا بناتِها
بأسيافنا إنّا ردى مَن نحاربه
وما زال منا ممسكٌ بمدينةٍ
يراقبُ أو ثغرٍ تُخافُ مرازبه[1]
إذا الملكُ الجبارُ صعّر خدَّه
مشيْنا إليه بالسيوفِ نعاتبه
وكنّا إذا دبَّ العدوُّ لسخطِنا
وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكلِّ مثقّفٍ
وأبيضَ تستسقي الدماءَ مضاربه
وجيشٍ كجنحِ الليلِ يرجفُ بالحصى
وبالشّولِ والخطّيِّ حمرٍ ثعالبه[2]
غدوْنا له والشمس في خدرِ أمّها
تطالعُنا والطّلُّ لم يجرِ ذائبه
بضربٍ يذوق الموتَ مَن ذاق طعمه
وتدركُ من نجّى الغرار مثالبه

(١) الثغر: الموضع المتقدم الذي يدافع عنه. والمرازب، جمع مرزبان، وهو سيد القوم.

(٢) الثعالب، جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان.

كـأنّ مثـارَ النقـعِ فـوق رؤوسهـم
وأسيـافنـا ليـلٌ تهـاوى كـواكبـه

* * *

(أين في الناس أب مثل أبي)

ومن جيد فخر مهيار الديليمي، الشاعر العباسي المحدث، وهو من أصل فارسي، قوله:

أُعـجبتْ بي عـنـدَ نـادي قـومِهـا
أمُّ سُعـدى فمضتْ تسـألُ بـي[1]
سـرُّهـا مـا علمتْ عـن خلقـي
فـأرادتْ علمَهـا مـا حسـبـي
لا تـخـالـي حسبـاً يـخفضُني
أنـا مَن يُغنيـكِ عنـدَ النسب
قـومَي اسْتولـوا على الـدهـر فتىً
ومـضـوا فـوقَ رؤوسِ الحـقـب
وأبـي كـسـرى عـلى إيـوانِـه
أيـنَ في النـاسِ أبٌ مثـلُ أبـي[2]

---

(١) أم سعدى، اسم المرأة التي يحبها.

(٢) الإيوان: القصر الملكي. وكسرى، واحد الأكاسرة ملوك فارس في القديم.

قـد ورثـتُ المجـدَ عن خيـرِ أبٍ
ووَرِثْتُ الـدِّيـنَ عـنْ خيـرِ نـبي

فـضمـمْـتُ الـمجـدَ مِن أطـرافِـه
سُـؤدَدَ الـفـرسِ وديـنَ الـعـرب[1]

* * *

(١) السؤدد: الرفعة والمجد.



ثبت المصادر والمراجع

- البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ. تحقيق فوزي عطوي. دار صعب. بيروت. ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية، لرشيد يوسف عطا الله. تحقيق علي عطوي. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م.
- الحيوان، لأبي عثمان الجاحظ. تحقيق يحيى شامي. ط ١. دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٦ م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي. ط دمشق ١٩٦٠ م.
- ديوان أبي فراس الحمداني. ط دار البيان. دمشق. بدون تاريخ.
- ديوان الأعشى. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.
- ديوان بشار بن برد. ط القاهرة. بدون تاريخ.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. ط بيروت ١٩٦٠ م.
- ديوان الحماسة، لأبي تمام. شرح التبريزي. ط ١. دار القلم. بيروت. بدون تاريخ.
- ديوان طرفة بن العبد. شرح مهدي ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٧ م.

- ديوان عامر بن الطفيل. دار صادر ودار بيروت. بيروت ١٩٦٣ م.
- ديوان عنترة. دار صادر ودار بيروت. بيروت ١٩٦٦ م.
- ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق ناصر الدين الأسد. ط ٢. دار صادر. بيروت ١٩٦٣ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢ م.
- زهر الآداب، للحصري. ط ١. تحقيق علي البجاوي. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٣ م.
- سقط الزند، لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٥ م.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة. ط ٢، دار الثقافة. بيروت ١٩٦٩ م.
- طبقات الشعراء، لابن سلام. طبعة نسخة خطية قديمة مقابلة على نسخة طبع أوروبا.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه. شرح خليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- الفرزدق، لخليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٢ م.
- الكامل في اللغة والأدب، للمبرد. مكتبة المعارف. بيروت.
- المعلقات العشر، لفوزي عطوي. دار صعب. بيروت ١٩٨١ م.

الفهرس

الباب الثاني

الباب الثالث

هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى إطلاع القارىء على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب على امتداد أعصر الأدب العربي، في الفخر. وهو فن يعبر فيه الشاعر عن ذاته، وإعجابه بنفسه المفطورة على حب الظهور والتفوق، وإن من أفضله إطلاقاً ذلك الفخر الذي يشحذ الهمم، ويثير العزم، ويغري بالشجاعة، ويحرّك النفس حافزاً إياها إلى التمسك بالمناقب والقيم والأخلاق، والنزوع إلى أسمى غايات الخير، وبلوغ الكمال.

الناشر